سلسلة الدراسات الاسماعيلية

٤

كتاب
البيان لمباحث الأخوان

تأليف

أبو منصور اليماني

الملقب

" بالشاذلي "

تقديم وتحقيق

مصطفى غالب

"عضو المجمع الملكي الآسيوي"

"عضو مجمع الدراسات الاسماعيلية"

سلمية سوريا

سلسلة الدراسات الاسماعيلية

٤

كتاب

البيان لمباحث الاخوان

تأليف

الداعي الأجل أبو منصور اليماني
الملقب
« بالشادلي »

تقديم وتحقيق

مصطفى غالب
« وعضو المجمع الملكي الأسيوي »
« عضو مجمع الدراسات الاسماعيلية »

سلمية سوريا

الطبعة الأولى

١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

سلسلة الدراسات الاسماعيلية :

صدر منها :

١ ـ تاريخ الدعوة الاسماعيلية	تأليف	: مصطفى غالب
٢ ـ الدرر الثمينة	تقديم	: «
٣ ـ رسائل آغاخان الى العالم الاسلامي	تقديم	: «
٤ ـ كتاب البيان لمباحث الاخوان	تقديم وتحقيق	: «
٥ ـ رسالتان اسماعيليتان	تقديم وتحقيق	: تحت الطبع

يصدر تباعاً :

١ ـ من هم الاسماعيليون ؟	تأليف	: مصطفى غالب
٢ ـ الرسالة الأحمدية	تأليف تحقيق	: الداعي نور الدين أحمد : مصطفى غالب
٣ ـ المصحف الشريف	تحقيق	: «
٤ ـ من اللفظ الشريف	تحقيق	: «
٥ ـ الميثاق	تحقيق	: «
٦ ـ اثبات الامامة	تحقيق	: «

الإهداء

إلى العلاّمة الكبير المستشرق « البروفسور »

ايفانوف « W· Ivanow »

اعترافاً بجهوده العلميّة المستمرة ، وتقديراً لأبحاثه القيّمة ، التي كان لها الفضل العظيم ، على الدراسات الاسماعيلية الحديثة .

« مصطفى غالب »

المقدمة

بقلم : مصطفى غالب

هذا كتاب جديد نضيفه الى سلسلة الدراسات الاسماعيلية ، بعد أن لاقت هذه السلسلة التشجيع والأقبال من المهتمين بالدراسات الاسلامية ومن مستشرقي هذا القرن ، الذين أخذوا على عاتقهم البحث والتنقيب لأظهار آثار هذه الطائفة التي كان لهاشأن عظيم في عالمالفكر .

وفي هذه الفترة من الزمن أصبح اسم الاسماعيلية يتردد في كل مناسبة على أفواه أكثر العلماء المهتمين بالدراسات الشرقية فتضاربت الآراء ، وتعددت الأقوال حول الاتهامات الكثيرة التي ألصقها بعض المؤرخين الموتورين ، والكتاب المأجورين بهذه الفرقة الاسلامية ، ولكن الايام ما لبثت حتى أظهرت للعالم أجمع بأن التهم التي إلصقت بالاسماعيلية ، انما كانت وليدة حزازات شخصية وقزارات نفسية ، إن دلت فانما تدل على دناءة مرتكبيها وفداحة جريمتهم التي كانت بمثابة دعاية لتثبيت أقدام الاسماعيلية وتقوية مركزهم العلمي في التاريخ الحديث وهم الذين لم ينشأوا إلا على غر من السجايا ، فهم في مصر والمغرب .

رأيام الفتوحات الاسلامية ، مثلهم يوم شيدوا الدولة النزارية في فارس ، وامتدوا حتى العراق فملكوا القلاع والحصون ، ومثلهم في قلاع القدموس ومصياف ، وسهول السلمية ، وروابي الخوابي ، والهند والباكستان ، وبورما وسيلان ، وأفريقيا .

أباة ضيم ، أعزاء ، كرماء ، أوفياء للعهد ، صفحاتهم في تاريخ تطور الجنس البشرى ناصعة ومكانتهم العلمية عظيمة .

لقد كانوا وما زالوا من أنبل وأصلح المواطنين ، وأخلصهم في البلاد التي استوطنوها ، رغماً عن أنف اولئك الذين يدعون بأن الاسماعيلين ليسوا بمسلمين ، كأن الاسلام وقفاً عليهم، يدخلون فيه من يريدون ، ويخرجون منه من يريدون ، وكأن الاسماعيلين ليسوا اولئك الفلاسفة العلماء الذين أوجدوا الفلسفة الاسلامية ، وكأنهم ليسوا اولئك الذين دوخوا العالم أبان مجد الدولة الاسماعيلية ، وكأنهم ليسوا اولئك الشجعان الذين دحروا الصليبيين واجلوهم عن البلاد السوريه ، وكأنهم ليسوا اولئك الابطال الذين سطروا على صفحات التاريخ بأحرف من نور أسمى التضحيات والتفاني في خدمة الدين الاسلامي المجيد والدفاع عنه .

لقد كان لهذه العوامل الأثر الفعال في نفسي ، فجعلتني أنهج نهجاً جديداً في دراساتي الاسماعيلية ، فأوجه اهتمامي الى اعماق المخطوطات الفلسفية الاسماعيلية المعقدة لاستجلاء كنهها ، واظهار حقيقتها بعد أن انتقلت من أيدي اصحابها الى أيدي غريبة عنها كادت أن تشوه حقيقتها

وتضيع معالمها ، بصراحة أن أيدي بعض المحققين أوشكت أن تلعب دوراً كبيراً في تشويه معالم بعض الآثار القيمة ، ومما لاحظته مؤخراً في كتاب حققه انسان قريب منا لانريد ان نذكر اسمه حرصاً على كرامة الفئة التي ينتمي اليها ،

إن هذا الانسان الدعي قد عمد عن قصد وتصميم الى قلب معالم الكتاب الذي ادعى تحقيقه رأساً على عقب ، فأطلق عليه اسماً أوحته له مخيلته العامرة بالدس والافتراء ، وغير وبدل في النصوص حتى جاءت موافقة لعقليته الضعيفة النزاعة الى التلفيق والتحامل ، بدون أن يشير الى الزيادات والشطب حسب الأصول المعترف عليها علميا ،

وعلى ضوء هذه المقدمة الموجزة سأتناول بالبحث بعض المعتقدات الاسماعيلية معتمداً على التجرد والنزاهة وخدمة العلم والحقيقة .

يؤكد اغلب المهتمين بدراسة تاريخ الدعوة الاسماعيلية أن انتشار هذه الدعوة كان بعد النص على إمامه اسماعيل بن الامام جعفر الذي استتر عام ١٤٥ هجريه خشية نقمة الخلفاء العباسيين ، وتدبر والده الامام الصادق الأمر بأن كتب محضر بوفاته وشهد عليه عامل المنصور بينما توجه اسماعيل سراً الى السلمية حيث كان يقيم فيها رهط من بني هاشم فزعم انه منهم ، الا أن الخليفة العباسي علم بمكان اسماعيل في السلمية ، فغادرها الى دمشق فكتب الخليفة الى عامله فيها ليلقي القبض عليه ، ولكن عامله الذي كان بدوره من الاسماعيليين عرض الكتاب على الامام اسماعيل فغادر البلاد متوجهاً الى العراق ، حيث شوهد بالبصرة عام ١٥١ هجرية

وقد مر على مقعدفشفاه ، ولبث الامام اسماعيل عدة سنوات يتنقل سراً بين أتباعه تحت أسماء عديدة وأزياء مختلفة ، وكان دعاته يكتمون اسمه عن الناس ، وستر حججه ودعاته وحدوده ، وكان استتارة كظلمة الليل الشديد لما غلب الباطل على الحق ، ويقول علماء الاسماعيلية بأن الائمة لايكتمون أسرارهم خوفا من ذوي السلطنة ، ولا حذراً من شغب جمهور العوام ولكن صيانة للمواهب ، وانهم كما اوصى المسيح فقال ، ولا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وقالوا أيضاً بأن الامام لايختفي خشية الضد ، لأن أولياؤهم يعرفون مواضعهم ، ومن أراد منهم قصدهم تمكن منهم .

ولبث الإمام اسماعيل متنقلاً بين اتباعه حتى توفي بالبصرة عام ١٥٨ هجرية ورزق من الأولاد محمد وعليا وفاطمة .

وكان هذا الستر سببا لانتشار الدعوة الاسماعيلية وتنظيمها في عهد الأئمة الستة المستورين وهم : اسماعيل ، محمد بن اسماعيل ، أحمد ألوفي محمد التقي ، رضى الدين عبد الله ، محمد المهدي ، على أيدي دعاة علماء اشتهروا بحججهم القوية ، ومنطقهم السليم ، وقد أخذوا على عاتقهم التفاني في سبيل الدفاع عن دعوتهم بالقلم واللسان وان اقتضى الأمر بالحديد والنار .

وقد عمد الامام الى تقسيم الدعاة الى أقسام عديدة كل حسب مقدرته وضمن اختصاصه ، وكان هذا التقسيم مشابهاً لتقسيمات السنة الى فصول، وأشهر ، وأيام ، وساعات . وقد أتى أبو منصور اليماني مؤلف هـــذا

الكتاب على ذكر هذه التقسيمات فقال :

لما كانت معادن الأرض تسعة عشر نوعاً موزعين على اثني عشر جزيرة وسبعة أقاليم ، وقد اختص كل قطر بنوع من هذه المعادن التي هي :

الطفل ، المغرة ، الكدان ، الجص ، الصوان ، الرخام ، الاسرب ، الكبريت ، الملح ، الكحل ، الشب ، الحديد ، النحاس ، الرصاص ، القصدير ، الفضة ، الذهب ، العقيق ، الياقوت .

وهذه المراتب المعدنية تقسم على أربعة أقسام : وهي أن منها ما لا يذوب ولا يحترق، وهو الياقوت الأحمر الذي ليس للنار عليه سلطان. ومنه ما يذوب ولا يحترق ، وهو الذهب الابريز . ومنه ما يحترق ولا يذوب ، وهو الكبريت .

لذا قضت الحكمة أن تكون أرض الدين مطابقة لذلك ، والاسس السبعة ، والنطقاء السبعة ، واثني عشر حداً موزعين في الأقاليم ، وقال أن لهذه الحدود أحوال أربعة مطابقة لرتب المعادن الأربعة المتقدم ذكرها ، وذلك أن من هذه الحدود من يحتاج أن يفيد جزيرته ، الظاهر والباطن،فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي لا يذوب ويحترق. ومنهم من يكون أهل جزيرته مهديين في الظاهر وهم بحاجة للأفادة من علم الباطن فقط ، فهذا في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي يذوب ولا يحترق ، ومن هذه الحدود من يفيد أهل جزيرته علم الظاهر فقط ، كونهم مبتدأون لا يستطيعون استيعاب علم الباطن ، فهو في عالم الدين

بمنزلة المعدن الذي يحترق ولا يذوب ، ومن هذه الحدود من يكون أهل علمه ، مهدين في الظاهر والباطن . وهو كلما فاتحهم في شيء من العلم وجده عندهم ، لذلك يذكرهم مذاكرة من أجل الإفادة ، فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي لا يذوب ولا يحترق وهو الياقوت الأحمر الذي ليس للناس عليه سلطان .

وقال غيره ان الدعوة لا يمكن استقامتها إلا باثني عشر داعياً يتولون ادارتها ، يقابلهم في عالم الفلك الواحد اثنا عشر برجاً وهي : الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت . تطابقها في جسد الانسان اثنا عشر ثقباً هي : العينان ، والأذنان ، والمنخران ، والثديان ، والسبيلان ، والفم والسرة . يقابلها في عالم الحجب اثنا عشر حجابا هم : حجاب القدرة ، حجاب العزة ، حجاب العظمة ، حجاب الهيبة ، حجاب الجبرأوت ، حجاب الرحمة ، حجاب النبوة ، حجاب الكربة ، حجاب المنزلة ، حجاب الرفعة ، حجاب الشفاعة ، حجاب السعادة .
وقالوا أن السنة مقسمة الى اثنا عشر شهراً وهي : ربيع الأول ، ربيع الآخر ، جماد الأول ، جماد الثاني ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذي القعدة ، ذي الحجة ، محرم ، صفر . وأن عدد أيام السنة ٣٦١ يوماً ، والنهار ١٢ ساعة ، والليل مثلها .
وقالوا أيضاً أن النبي قال : « طوبى لمن حفظ الرأس وما حوى ، والعقل

وما طوى ، والقلب وما وعى ، وذكر القبر والبلى ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا .

أي طوبى لمن حفظ رأس دعوة الحق والأئمة من ولده ، ويقولون بأن الرسول أراد من قوله العقل وما وعى ، أي أن في العقل اثنا عشر قطعة دليلا على اثنا عشر داعي الذين هم في جزائر الأرض ، وهم في الدنيا مشهورين : العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ، خذر ، الصين ، فارس ، الروم ، الهند ، السند ، الصقالبة .

وبما أن الأبراج ستة منها قبلية ، وستة شمالية ، كذلك اقتضى أن تكون الثقب ستة في الجانب الأيمن ، وستة في الجانب الأيسر ، يطابقها أن شهور السنة على نوعين : ستة شمالية ، وستة جنوبية ، فالستة الشمالية عدد أيامها ثلاثون يوماً ، ويسمون بالأشهر الكاملة ، والستة الجنوبية ، عدد أيامها تسعة وعشرون يوماً ، ويسمون بالأشهر الناقصة .

وعدا عن هذه التنظيمات فقد تعمق الاسماعيلية في دراسة الفلسفة ، فأوجدوا نظريات الهياكل السبعة والأدوار السبعة فقالوا عن الهياكل أنها على نوعين سبعة مؤتلفة وسبعة مختلفة ، والنطقاء سبعة واسسهم سبعة ، والأئمة سبعة ، فالنطقاء السبعة والأسس السبعة هم : آدم وأساسه شيث ، نوح وأساسه سام ، ابراهيم وأساسه اسماعيل ، موسى وأساسه شمعون الصفا ، محمد وأساسه علي ، اسماعيل وأساسه قداح الحكمة . والأئمة السبعة هم : علي ، الحسين ، علي زين العابدين ،

محمد الباقر ، جعفر الصادق ، اسماعيل ، محمد بن اسماعيل ، وطابقوا هذه النظرية على الأعداد ورتبوها كما يلي :

آدم	:	بمنزلة الآحاد	ومنه السلالة
نوح	:	« العشرات	وهو كالنطفة في الصورة الجسمانية
ابراهيم	:	« المآت	وهو كالعلقة « «
موسى	:	« الآلاف	وهو كالعظام « «
عيسى	:	بمنزلة عشرات الألوف	وهو كاللحم في الصورة الجسمانية
محمد	:	« مآت الألوف	وهو كالصورة التمامية
القائم	:	« آلاف الألوف	وهو كالنفحة الأخيرة

وكذلك وجد في الجسد سبع قوي فعالة جسمانية وهي : الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغاذية ، والنامية ، والمصورة ، وسبع قوى روحانية حساسة خفيفة لطيفة وهي : الباصرة ، والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة ، ومن هذه القوى الحساسة خمسة منها تشبه الكواكب الخمسه الجارية في السماء ، المريخ ، المشتري ، عطارد ، زهرة ، زحل ، والقوى الناطقة مناسبة للقمر ، والقوى العاقلة مناسبة للشمس .

وقالوا أن للقوى ، الفاضلة التي هي العاقلة ، والمفكرة ، والزاكرة والمتخيلة ، والمميزة ، والحافظة ،والناطقة ، في الدنيا نظير السبعة النطقاء ودعائم الاسلام السبعة التي هي : الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، والجهاد ، والولاية ، والامامة ، وقسموا هذه العلوم الى ثلاثة أقسام :

رياضية ، طبيعية ، إلهية ، وقالوا أن العلوم الرياضية هي دون فلك القمر ، والعلوم الطبيعية في الفلك التاسع الى فلك القمر ، اما العلوم الالهية فهي فوق الفلك التاسع ، مثل العقل والنفس والأمر والباري ، وقد أشرف على كل نوع من هذه العلوم عقول تسيرها وترعاها ، ففضلوها ورتبوها حسب أهميتها فجعلوا المرتبة الأولى للعلم الالهي وموضوعاته تبحث عن كنه الله تعالى وكنه النفس الناطقة العلامة بالقوة الفعالة بالذات معتمدين على قول الرسول (من عرف نفسه فقد عرف ربه) أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه ، ومن يتوصل الى معرفة نفسه اضطلع على الخفايا والاسرار ، واصبح اسمه لدى العامة (النقال) أي الذي ينقل النفوس من الظلمات الى النور ، ويخرج من الفجار أشخاص أخيار ، ويجعل من الكافر الملحد مؤمن ولي ، وهذا النقال لا يعرج على قرية خاوية إلا أحياها ، ولا أرضاً قاحلة إلا أخصبها يهيء الاسباب ويرفع الحجاب ، ويهون الامور الصعاب ، ويحمل نوراً من أنوار الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده واتباعه الصالحين ، ويرشدهم الى جوهر العقول ، واسرار النفوس ، وانوار الافكار ، وحكم الازهار ، ويطلعهم على السر المكنون ، والنور الشريف ، وهو علم الربوبية ، والسر الامري ، والرحمة الواسعة التي يخص بها من يشاء .

وقالوا أن الأنسان هو النفس قبل الجسم ، لأن نفسه لبست زمناً طويلا حتى عرفت وعقلت المعقولات ، أي عرفت إمام عصرها وزمانها ولما عرفته ارتقت الى عالمها النوراني ، عالم الملكوت الأعلى ، وأوجدوا

أيضاً نظرية الفيض فقالوا أن النفس الكلية فاضت من مواد العقل الكلي المنبثقة أنواره من أنوار العزة الألهية ، والقدرة الربانية ، فلما قبلت ذلك الفيض الشريف ، ومواد السر اللطيف وصلت الى حد كمالها ونور أفضالها فجال النور الرابع ، واختلج في فكرها القاطع ، من سر الافاضة المفضلة الذي نقش في ذاتها المشتمله على العوالم الثلاثة ، النبات ، والحيوان ، والانسان ، ومنها ظهرت الأشياء من العدم الى الوجود ، فأول افاضتها مما استمدت من قوى روحانيتها وقد ساعدت النفس الكلية تراكيب الافلاك العالية، والكواكب السامية والبروج الاثنا عشر ، ولما تكاملت الأباء والأمهات ، ودارت حركات الافلاك بعد ان استمدت من قوى الأملاك ودخلت فيها القوة الألهية المحركة لهذه الحركات ، دار فلك المحيط دورة القدرة الالهية والحكمة الازلية فكانت دورته الأولى بظهور كرة النار الأثير ، ثم دار الدورة الثانية فظهرت كرة الهواء الخفيف اللطيف ذو الحرارة والرطوبة ، وهو ثاني الأمهات ومنبع النفس والحياة وقوته سارية في كافة الجهات ثم دار الدورة الثالثة ، فأظهر الجسد السيال الكائن الميال كرة الماء المجعول منه كل شيء حياً جامع البرودة والرطوبة ،وهو ثالث الأمهات ومحي الانسان والحيوان والنبات ثم دار الدورة الرابعة فظهرت كرة الأرض الثقيلة المتصور منهـا كل صورة ، وهي قوام الأجساد . والمركبات النابتة عن الأجرام ، والأصل الشريف ، والعنصر الكثيف الثابت لما ينشأ فوقه من الاجسام ، وظهر منها المزاجات

الأربعة التي هي الحرارة ، والرطوبة ، واليبوسة ، والبرودة ، ونشأ عنها الاخلاط الأربعة وهي الصفراء ، والسوداء ، والبلغم ، والدم ، ولما توافقت الآباء والأمهات امتزجت العناصر والاستقصآت واختلطت الحرارة والبرودة فاعتدلت القواعد والامتزاجات، وصفت التراكيب والاختلاطات وسرت فيها قوى الروحانيات الكائنات ، فأشرقت السعود والقرانات ، وأمطرت السماء مطراً نظير المنى فتلقت الارض ذلك الفيض، وأظهرت من باطنها سائر النباتات ، والحيوانات والانسان وكانت صورة الانسان آخر المطبوعات فحازت على سائر الصفات وصارت محل المجموعات ، من سائر وجود الكائنات الصورة الكاملة ، والنعمة الشاملة القائمة الآلفية المنتصبة بين الجنة والنار، ومحل العقول والنفوس والأنوار فتسمت بالعالم الصغير واحتوت سر معاني العالم الكبير وهو الانسان الجزئي ، واحتوى مافي العالم الانسان الكلي ، ففيها سر الله الاعظم ، ونوره الأتم ، منها صراط الله الممدود ، ونوره الموقود ، وحوضه المورود ،وصندوق علمه،وخزنة سره المكنون ، الذي لا يصل اليه ، ولا يطلع بسعيه الجميل عليه ، الا من وفقه الله للرشاد وعرفته النفوس والأجساد ، فكان مثل الصورة البشرية كمثل الدنيا الحاوية للسماء والأرض والطول والعمق والعرض ، وكان مثل الافلاك العالية والكواكب السامية كمثل الرأس وما حوى ، والعقل وما طوى ؟ والقلب وما وعى ، وفيها مايقابل الافلاك السبعة ومافيها والبحار السبعة وما فيها ، والأراضي السبعة وما عليها ، وما حوت الجواهر والمعادن

والعرش والكرسي .

ويعتبر أول من قال بهذه النظرية التي لعبت دوراً كبيراً في الفلسفة الاسماعيلية (افلوطين) حيث قال :

إن لهذا العالم ظواهر جمة وهودائم التغير ، ولم يوجد بنفسه ، بل لابدله من علة سابقةهي السبب في وجوده ،وهذا الذي صدر عنه العالم (واحد) غير متعدد ، وهو أزلي أبدي قائم بنفسه ، ولسنا نعلم عن طبيعة هذا الخالق إلا أنه يخالف كل شيء ، أيسمو على كل شيء ، ولما كان الله فوق العالم ، وهو غير محدود ، فلا يمكنه أن يخلق العالم مباشرة وإلا اضطر الى الاتصال به مع أنه بعيد عنه ، لاينزل الى مستواه ، ولما كان واحداً فلا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد ، ولايستطيع أن يخلق الله العالم لأن الخلق عمل ، أو انشاء شيء لم يكن وذلك يستدعي التغير في ذات الله ، والله لا يتغير ، لذا فأن هذه النظرية تبين أمرين مختلفين أحدهما أنالله عله العالم وسبب وجوده ، وثانيهماأن الله فوق العالم ولا يستطيع أن يتصل به ويخلقه .

وقال إن تفكير الله في نفسه وكماله نشأ عنه فيض ، وهذا الفيض صار هو العالم ، وقد انبعث من الله شعاع كان هو العالم ، كما يبعث اللهيب ضوءاً ، والثلج برداً ، ولما كان كل فرد تفرع من الواحد الأول ، الله، فهو يميل بفطرته الى العودة إلى أصله ومبعثه الذي كان صدر عنه ، ولا ينفك يحاول أن يصل اليه ، أما ذلك المصدر الأول فمستقر في نفسه ، مكتف بها ، لايتصل بما تفرع عنه من أشياء ، وهذه الكائنات التي صدرت عن الله تكون سلماً نازلاً من درجات الكمال حتى ينعدم الكمال

في أخر السلم انعداماً تاماً حيث يتلا شى النور في الظلام ، وأول شيء انبثق من (الواحد) هو العقل ، وهذا العقل ، له وظيفتان : التفكير في الله ، والتفكير في نفسه ، ومن العقل انبثقت نفس العالم ، ولها ميلان ، فتميل علواً الى (الواحـد) وتميل سفلاً الى الطبيعة وقد انبثقت منها النفوس البشرية التي تسكن هذا العالم ، فنفس العالم ، كالعقل تنتمي الى العالم الروحاني الإلهي ، ومن هذه النفس الأولى ، خرجت نفس ثانية ، الطبيعة ، وهي التي تشترك وحدها مع العالم المادي كما تمتزج نفوسنا مع جسومنا (١)

وقال اخوان الصفاء (٢)

اعلم يأخي ان الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على ايجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها ، فاذاً بواجب الحكمة أفاض الوجود كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ، ودام ذلك الفيض منه متوتراً غير منقطع ، ويسمى ذلك الفيض العقل الفعال ، وهو جوهر بسيط روحاني نور محض ، في غاية التمام والكمال والفضائل ، وفيه صور جميع الأشياء كما تكون في فكر العالم صور المعلومات ، وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ص ٣٢٠ - ٣٢٣ الأفلاطونية الحديثة
History of ancient ans medervel (Dresser) philosophy
(٢) ح ٣ ص ١٩٧ — ١٩٨

المنفعل ، وهي النفس الكلية ، وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام ، كما يقبل التلميذ من الاستاذ التعليم ، وفاض من النفس أيضاً فيض آخر دونها في الرتبة يسمى الهيولى الأولى ، وهي جوهرة بسيطة روحانية قابلة من النفس الصور والأشكال بالزمان شيئاً من شيء ، فأول صورة قبلت الهيوى الطول والعرض والعمق ، فكانت بذلك جسماً مطلقاً ، وهو الهيولي الثانية .

ووقف الفيض عند وجود الجسم ولم يفض منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية ، وغلظ جوهره وبعده من العلة الأولى .

ولما دام الفيض من الباري على العقل ، ومن العقل على النفس عطفت النفس على الجسم فصورت فيه الصور والأشكال والأصباغ ، لتتمه بالفضائل والمحاسن بحسب ما يمكن من قبول الجسم الشكل الكري الذي هو أفضل الأشكال كلها ، وحركته بالحركة الدورية التي هي أفضل الحركات ، ورتبت بعضها في جوف بعض من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الأرض وهي احدى عشر كرة وترتيبها كما يلى :

فلك المحيط ، الأفلاك الثابتة ، زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر ، الأرض ، وقد رتب اخوان الصفاء الوجود في تسعة مراتب هي :(١)

١ — الله

---

(١) اخوان الصفاء : ج ٣ ص ١٩٨

٢ — العقل الفعال : وهو جوهر بسيط روحاني أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري، علام بالفعل .

٣ — النفس الكلية ، جوهرة يسيطة روحانية ، علامة بالقوة ، فعالة بالطبع، قابلة فضائل العقل بلا زمان ،فعالة في الهيولى بالتحريك لها.

٤ — الهيولى الأولى : وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة ، بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة لها .

٥ — الطبيعة الفاعلة : وهي قوة من قوى النفس الكلية ، سارية في جميع الأجسام مدبرة لها ، وتسمى النفوس الجزئية أو الملائكة

٦ — الجسم المطلق : ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية

٧ — عالم الأفلاك

٨ — العناصر السفلى كالنار والهواء والماء والأرض

٩ — المعادن والنبات والحيوان .

وأوجد أيضاً الاسماعيلية نظرية الابداع فقالوا بأن الله أبدع من نوره الشعشعاني صورة أزلية كاملة دعاها العقل الكلي ، فكان حداً من حدوده أطلق عليها السابق لسبقه الحدود الروحانية الى معرفة الخالق وتوحيده، فكان أولاً لاحقاً ثانياً موجوداً ثالثاً واحداً، رابعاً تاماً، خامساً كاملا ،سادساً أزلياً، سابعاً عاقلا ،ثامناً عالماً ، تاسعاً قادراً، عاشراً حياً، واطلق المبدع على هذا الملاك الأول ،والحد الأول اسم القلم ،وقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال: بعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً أعز منك بك أثيب ،وبك أعاقب، وبك تبلغ المنازل العالية،قد جعلتك وسيلتي لجميع عبادي،من أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني،وأفاض الله من

نوره ومن العقل الكلي الفعال جوهر آخر في كماله ، دونه في رتبته فكان ملاكاً ثانياً قابلاً للصوره قائماً بالقبول ، أطلق عليه اسم اللوح المحفوظ فكان حداً ثانياً ، أبدعهما الله بالكلمة القدسية (كن) فكان الكاف منها دليلاً على السابق ، والنون اشارة الى تاليه .

فكن كلمة من كلام الله الساري وحياً بلا واسطة فكان حداً ثالثاً أطلق عليه ا م (الجد) ، آخذاً من قوله تعالى « وانه تعالى جدّ ربنا » (١) ونتج عن ذلك الحد الرابع الذي هو (الفتح) لأنه فتح بالذكر ماصح بالفكر فتم بهذا الأبداع الحد الخامس الذي اطلق عليه اسم (الخيال) لأنه كان أول عارض تخيل بالفكر والنافخ الأول في نفخة البعث (٢) وبذلك قال أحد الدعاة .

غداً السابق السامي اليه وتاله   مع الجد والفتح والخيال الملاوم

وقد أطلق على هذه الحدود الخمسة اسم الحدود العلوية الروحانية ، وقيل عن النبي أنه قال تسلمت من خمسة ، وسلمت الي خمسة ، وبيني وبين ربي خمسة ، وأنا وآل بيتي خمسة :

فالخمسة حدود التي يعني رسول الله أنه تسلم منهم هم :

١ آدم وحظه بحيرة الراهب

٢ - نوح وحظه خديجة بنت خويلد

٣ - ابراهيم وحظه ميسره

(١) سورة الجن آية (٣)

(٢) اسرار النطقاء على هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٦

٤ – موسى وحظه عمر بن نافل

٥ – عيسى وحظه زيد

أما الخمسة حدود التي سلم اليهم ملكة الدين هم : الأساس، والحجة، والوصي ، والأمام ، والداعي ، والخمسة التي بينه وبين ربه هم العقل ، النفس ، والجد ، والفتح، والخيال ، يقابلهم في عالم الملائكة : جبرائيل، واسرافيل ، واللوح ، والقلم ، وقوله انا وآل بيتي خمسة ، يقصد محمد ، علي ، فاطمة ، الحسن ، الحسين

وقالوا أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التاييد ولا اتصل بهم الوحي إلا عن طريق هذه الحدود الروحانية الغير متشخصة ، وقد فسر سيدنا أحمد حميد الدين الكرماني قوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشاء (١) » بأن القسم الأول من هذه الأية هو رتبة (الجد) الذي هو كلام الله وحياً وكلمة من وراء حجاب هي رتبة (الفتح) وكلمة ويرسل رسولاً هي رتبة (الخيال) وأفضى السابق الى تاليه بالمادة الأرادية والمشيئة المقضية ، وأفضى التالي الى الجد وهو اسرافيل بما يجري في العالم الروحاني ، فافضى به اسرافيل الى الفتح وهو ميكائيل الذي أبلغه الى الخيال جبرائيل، فبلغه جبرائيل الى الناطق الحي الذي يمثل في دوره السابق كما يمثل الحجة أي الأساس دور التالي ، ويمثل الداعي الجد ، والمأذون الفتح والمكاسر الخيال في كلا الدورين .

---

(١) صورة الشوري آية (٥)

فقول النبي اني أخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم ، أنه يعني بذلك أني أخذ الوحي عن الخيال الذي يأخذه عن الجد عن التالي الذي يأخذه عن السابق ، فيكون قد أخذ عن خمسة حدود علوية اتصل عنهم خمسه حدود أرضية هم : النطقاء عن السابق ، والاوصياء عن التالي ، والدعاة عن الجد ، والمأذونون عن الفتح ، والمكاسرون عن الخيال (١) .

والمأذونون ،والمكاسرون أقرب الحدود الى المستجيبين ،ومرتبتها كبيرة لاتتوافر الا فيمن كانعلى علم تام بالعقائد ويعرف مواضع الضعف فيها،ليتمكن من مجادلةأصحاب الفرق الأخرى واظهار مافي معتقداتهم من أخطاء لترغيب المستجيبين ، واذا ما طبقنا نظرية المثل والمثول يكون في العالم الأرضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف بصفتها وتسمى باسمائها ، لان الله سبحانه وتعالى المنزه عن الاسماء والصفات أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة حدود روحانية وخمسة حدود جسمانية ، فالحدود الجسمانية أو الارضية هم النبي والوصي والامام والحجة والداعي يقابل كل منهم السابق والتالي والجد والفتح والخيال (٢) وان العالم العلوي يمد العالم السفلي ، وعالم العرش يمد عالم الكرسي وعالم الكرسي يمد فلك زحل وفلك زحل

---

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص (٢١١)

(٢) الفترات والقرانات س (٦٩)

يمد فلك الشمس ، وفلك الشمس يمد فلك زهرة ، وفلك زهرة يمد فلك عطارد ، وفلك عطارد يمد فلك القمر ، وفلك القمر يمد فلك الحرارة ، وفلك الحرارة يمد فلك الهواء ، وفلك الهواء يمد فلك الماء وفلك الماء يمد فلك التراب ، والوجود بحد ذاته تأسس من علتين احداهما الامر وهو علة العلل ، والثاني العقل الفعال وهو علة ومعلول والأمر هو المادة الالهية التي تمد العلة الثانية ولا تستمد منها ، والأمر والباري كلمة واحدة تستمدمنها كافة الحدود الروحانية وقد يظهر الأمر في العالم السفلي متجسداً في صورة الحجاب البشري ، وقيامه بالمدة المقررة ، فاذا غاب الامام انتقل الأمر الى شخص آخر من ولده . بموجب النص ، فهو اذن علة الوجود كما ان الواحد علة الأعداد ، ومنه تكونت كسورها واعدادها ، والأمر هادي بذاته ، لأنه يمد ولا يستمد ، بينما العقل يمد ويستمد ، فهو هادي بهدايته لأن مادته من الأمر استمدها لأنه علته ، والأمر ظهر في العالم السفلي في صورة الحجاب البشري ، والأمر هو الامام بالحقيقة لأنه هادي بجوهره وهو الامر ، والجسم البشري حجابه قد سمي باسمه .

وتكلموا عن الابداع فقالوا :

إن وجود العالم عن الله سبحانه ليس كوجود الدار عن البناء .إن فرغ من بنائها لم تعد في حاجة اليه ،ولا كوجود الكتاب عن الكاتب إذا انتهى من كتابه صار له وجود مستقل منه ، ولكنه كوجود الكلام عن المتكلم فالكلام يكون موجوداً مادام المتكلم يتكلم ، فان سكت بطل وجود الكلام

أو كوجود نور السراج في الهواء ، مادام السراج باقياً فالنور باقي موجود ، أو كوجود ضوء الشمس في الجو فان غابت الشمس بطل وجود الضوء ، أو كوجود العدد من الواحد ، وكما ان كلام المتكلم ليس جزاء منه بل هو فعل له، وعمل أظهره بعد ان لم يكن ،وكذلك صدور النور عن الشمس ليس جزءاً منها بل هو فيض وفضل منها ، وكذلك حرارة النار المنتشرة من حولها ليست بجزء من الشمس بل هي فيض وفضل منها ، فكذلك وجود العالم عن الباري ليس بجزء منه سبحانه ، بل فضل تفضل به ، وفيض أفاضه ، وفعل فعله بعد أن لم يكن فالأمور الطبيعية (١) أحدثت وابدعت على التدريج ، وممر الزمان فالنفس مثلا عاشت دهراً طويلا في عالم المثل قبل أن تتعلق بالجسم ، وكانت وهي في عالمها الروحاني تتلقى الفيض، والفضائل والخيرات عن العقل الفعال ، فلما امتلأت من تلك الفضائل ، وكان الجسم فارغاً من الأشكال ، والصور والنفوس ، أقبلت النفس على الهيولى تميز الكثيف من اللطيف ، وتفيض تلك الفضائل والخيرات ومكنها الله تعالى من الجسم ، فخلق من ذلك الجسم عالم الأفلاك وأطباق السموات ، من لدن فلك المحيط الى منتهى مركز الارض ثم خلق بقية المخلوقات من انسان وحيوان ونبات ومعادن ،أما الأمور الالهية حدثت دفعة واحدة مرتبة منتظمة ، بلا زمان ولا مكان ولا هيولي ذات كيان ، بل بمقتضى قوله تعالى (كن فيكون) وهذه الأمور الروحانية هي العقل الفعال

(١) اخوان الصفاء ج ٣ ص ٤٧

والنفس الكلية والهيولى الأولى والصور المجردة ، والعقل هو نور الباري وفيضه ، والنفس الكلية هي نور العقل وفيضه الذي أفاضه الباري منه والهيولى هي ظل النفس وفيئها ، والصور المجردة هي النفوس والأصباغ والاشكال التي أفاضتها من الهيولى باذن الله وتأييده لها بالعقل وخلقت النفس كلها بلا زمان ولا مكان ومثلا على ذلك البرق وضوء الشمس وحرارة النار فكلها صدرت عن مصدرها دون زمان أو مكان .

تحقيق الكتاب

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على نسختين منه الأولى موجودة في مكتبتنا الخاصة وقد أهدانا أياها أحد المشائخ الاسماعيلية من أهالي السلمية، سوريا وعدد صفحاتها (٩٩) في كل صفحة (١٦) سطراً قطعها قياس (١٦/٢٣) سنتمتراً كتبت على ورق متين في آخر النسخة كلمة جاء فيها كتبت هذه النسخة بخط العبد الفقير حسن بن محمود بن حيدر وكان الفراغ منها في ١٣ رجب عام ١٢٢٨ من هجرة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وقد رمزنا اليها بالحرف (آ).

والنسخة الثانيه أعارنا أياها الشيخ سليمان بن الشيخ ابراهيم من أهالي قرية بري الشرقي التابعة للسلمية، وهي أقدم من النسخة الأولى عدد صفحاتها (١٠٣) في بعض صفحاتها ١٥ سطراً، كتبت على رقيق بمداد عادي، العناوين كتبت بالمداد الأحمر، مشحونة بالغلط والتحريف وفيها تقديم وتأخير جاء في أولها هذا الكتاب المبارك تأليف أبي منصور اليماني المعروف بالشادلي وهو فريد دهره ووحيد عصره، العالم العامل قدس الله حقيقة سره ونفعنا به وبعلومه أمين وفي آخرها تمت وبالخير عمت بخط محمود بن عبدالجبار بن محمد العلي والسلام

على المرسلين . قياس ١٤ × ٢١ سنتمتراً وقد رمزنا اليها بالحرف (ب)
وكانت طريقتي في التحقيق أن أقرأ النص في احدى النسخ واقارنه
بغيره من نصوص النسخة الثانية ، وأختار ماهو أصح وأصدق ، وأذكر
في ذيل الصفحة ماقد رمزت به الى النسخة الأولى بحرف (آ) والى
الثانية بحرف (ب) .

مؤلف الكتاب

كادت أن تتبخر جميع الجهود التي بذلناها من أجل الحصول على بعض المعلومات التاريخية التي تنير أمامنا الطريق لمعرفة تاريخ حياة مؤلف هذا الكتاب أبو منصور اليماني المعروف « بالشادلي » لولا أن عثرنا خلال تنقيباتنا الطويلة على اسم بلدة صغيرة من أعمال تونس تدعى (الشادلية) كانت في القرن الثالث الهجري مركزاً من مراكز الدعوة الاسماعيلية في المغرب قبل انتقال الدعوة الاسماعيلية الى تلك البلاد ، هذا ماجعلنا نعتقد ، أو بالاحرى نجزم أن مؤلف هذا الكتاب ولد في (الشادلية) وبعد أن عاش فيها مدة من الزمن انتقل الى الكوفة ومنها الى السلمية ، حيث انضم الى حاشية الامام فيها ، فعرف بين الاتباع بالشادلي نسبة للبلدة التي ولد فيها .

واذاء هذا الغموض الذي اكتنف حياة مؤلف هذا الكتاب الذي لم يأتي على ذكره أي مؤرخ ، لايسعنا الا أن نرجح احد أمرين .

الاول – إما أن يكون الداعي أبي القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الذي لقب بمنصور اليمن « لما حققه من انتصارات عظيمة للدعوة في اليمن » هو نفسه مؤلف هذا الكتاب ،

وقد وضعه إبان وجوده في السلمية ، اذ من المعروف أنه كان يتردد على السلمية عندما كان على رأس دعوة اليمن .

ونحن لانستبعد أيضاً أن يكون والده الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان قد ولد في بلدة الشادلية في المغرب ومنها ارتحل مع والده الى الكوفة ، وبعد أن استقر بها المقام واصبحا من جملة الدعاة الاسماعيلية وبعد أن وقع اختيار الامام على أبي القاسم رستم بن الحسن ليكون داعيا في اليمن ، غادر والده الحسن الكوفة الى السلمية وقطنها مدة من وضع خلالها هذا الكتاب ، وباعتقادي أنه وضعه بعد أن لقب والده بالمنصور فسمي أبو منصور نسبة لولده وعرف بالشادلي نسبة للمدينة التي ولد فيها .

ثانياً - هناك رأي آخر وهو أن المستشرق الروسي البرفسور (ايفانوف) قد ذكر في كتابه المرشد الى الادب الاسماعيلي (١) أن للداعي رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب كتاب اسمه (الشواهد والبيان) ولربما جاء هذا الكتاب الى سوريا عن طريق اليمن ، وبعد أن تداولته أيدي النساخ حصل بعض التحريف وهذا مالا نستطيع تأكيده بالضبط ، انما نرجح أن يكون قد الف هذا الكتاب أحد اثنين الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان ، أو أبي القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان .

ويغلب على الظن كما يفهم من خلال الاسطر التي قدم بها لكتابه

---

(١) صفحة ٣٦

أنه وضع في دور الستر الاول لقوله :

اعلم أيها الولد البار الرحيم الرشيد ، السالك طريق التسديد ، والطالب نجاته مع رجال التوحيد ، أكرمك الله بنور التأييد ،ومنحك من فضله كل مزيد . ان الذي دفعني لتصنيف هذا الكتاب المبارك مارأيته ، أن أكثر أبناء الدعوة الاسماعيلية ، المختارين من جوهر النفس الكلية ، ليكونوا صفوة البرية ، قد قطعوا أعمارهم في معرفة الفروع دون الاصول ، فمات اكثرهم على غير الصواب والأصول ، فلحقني على الأخوان غيرة الدين ، ورق قلبي على أبناء جنسي المؤمنين فعزمت أن أشرح لهم من علوم الأئمة الامجاد الذي ادخرته نفسي ليوم المعاد .

فلما هممت بذلك أشرق على نفسي وعقلي ، فخيل الي أن زمان الفترة زمان منقلب ، وان كشف الاسرار فيه لايجب ، وستر الحقائق فيه مما يجب ، لتراكم الحجب ، وقوة الضد ، وما أمره الأئمة النجبا بسلوك مالا يجب الخ ...

وهذا دليل لاشك فيه على أن الكتاب وضع في دور الستر الأول وقبل العهد الفاطمي ، أي عندما كان الاسماعيليون يلاقون الاضطهاد والتنكيل ويطاردون في كل مكان من قبل الخلفاء العباسيين .

وخلاصة القول يمكننا أن نقول بأن هذا الكتاب وضع على الارجح في عهد الامام رضى الدين عبد الله وأن مؤلفه قضى فترة من الزمن في سوريا وربما عاش آخر ايامه ومات في السلمية .

سلمية : مصطفى غالب

كتاب

البيان لمباحث الإخوان

تأليف

الداعي الأجل أبو منصور اليماني

المعروف « بالشادلي »

تحقيق

مصطفى غالب

« عضو مجمع الدراسات الاسماعيلية »

« وعضو المجمع الملكي الأسيوي »

سلمية سوريا

هذا الكتاب المبارك تاليف ابي منصور اليماني المعروف بالشادلي ، وهو فريد دهره ، ووحيد عصره ، العالم العامل قدس الله حقيقة سره ونفعنا به وبعلومه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ظهر لخلقه بخلقه ، واحتجب عن خلقه بخلقه ، وارتقى ، وابدع بأمره أساس من أساس وجعله لاحقاً ، وجعل أساس السابق شيئاً لوجود أساس اللاحق ، فصبغ جوهرها (١) بنور وحدته وجعلها اصلين للخلق (٢) والدين بديع قدرته وتنزه(٣) سبحانه وتعالى بوجودهما عن صفات (٤) الزوجين ، وتقدس بعظيم كبريائه عن سمات

(١) في ب جوهريتها
(٢) في آ الخلق
(٣) في ب تنزهه
(٤) في ب صفة

العالمين ، وجل ذلك عن كل وصف (١) ونعت وعلا عن كل فوق وتحت ، احمده على ما من به علينا ، وأوصله الينا من فيض بلوغ انواره التي فاض به (٢) على السابق من نور وحدته ، وأشعة ومضاب تأييده على حجابه الحسي من فيض التالي المؤيد بنور كلمته .

حمداً يزيل عنا أدران الشبهات ، ويطهر قلوبنا من الانكار والتعطيلات . ويحرسنا من اتباع الهوى ، ويخرجنا من العمى الى نور الهدى ، حمداً يكون معنا حتى تظهر صورنا اللطيفة في دار السلام ، وأشهد أن لا إله من جميع من وجبت عليه الشهادة سبحانه بالوحدانية، من السابق حق الروحانيات الى الناطق نهاية الجسمانيات إلا الله الذي ابدع بعلمه ، وأمره ، وكلمته ، وارادته ، السابق التام الذي لم يسبقه أساس من قبله . بل هو الله الذي جمع الله فيه قبل وبعد بمعنى واحد لاتفاضل فيه، ووكله بحفظ العالمين لتتم حكمته فيه وجعله حجابه الاعظم ومقر نوره الأكرم ، الذي منه يشرق نور التأييد على الحدود ، ومعدن حكمته التي فيها (٣) تجريد التوحيد ، وهو الذي انعطف في نور الحكمة المتحدة بهويته عند كمال جوهريته، والى زوجيته المستفيدة من صور المكنونات الهيولانية ذات النقوش والتآليف ، والتركيب

(١) في آ حد

(٢) في ب المفاضة

(٣) آ بها

لبعدها عنه ، والعلة الوحيدة التي باشراق نورها على أحاين الوجود ، العقل والنفس ، استقامت السماوات بأقطارها ، والدوائر بهيئاتها ومراكزها واستضاءت الكواكب بلمعان (١) تحركاتها في مطالعها ومضاربها ودارت البروج في أماكنها وظهرت صور الطبيعة منها بأجناسها والاجناس بأنواعها ، والأنواع بأشخاصها ، وأعلن كل شخص منها عن مافيه من قوة الله اللاهوتية المتصلة به .

لان صناعته سبحانه وتعالى محصورة بالوحدانية التي تنبعث بأنوارها في جواهرهم ، فتصبغ نفوسهم بالصبغة الدينية التي تعود بها الى ربها راضية مرضية وترجو بذلك الانبعاث من دار الموتى عالم الكون والفساد والترقي الى العالم الاعلى مقر الذات الحية لتحيا حياة ابدية ، وصلى الله على نبيه المبعوث الى خلقه ، ببيانه ونطقه ولسان صدقه ، وعلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب مغرب شمسه (٢) ووارث مقامه ، وعلى الأئمة من ذريتها اماماً لمع برقه ، وسبح ورقه ، وشره سبقه ، أيا مولانا وامام عصرنا وزماننا الوارث (٣) لدين الله أمير المؤمنين وحجة الله على خلقه .

اعلم ايها الولد البار الرحيم الرشيد ، السالك طريق التسديد والطالب نجاته مع رجال التوحيد ، أكرمك الله بنور التأييد ومنحك

---

(١) آ بكموع
(٢) في ب شرقه
(٣) في ب الدائرة

من فضله كل مزيد ، ان الذي دفعني لتصنيف (١) هذا الكتاب المبارك مارأيته ، انا كثر ابناء الدعوة الاسماعيلية المختارين من جوهر النفس الكلية ، ليكونوا صفوة البرية ، قد قطعوا اعمارهم في معرفة الفروع دون الاصول ، فمات اكثرهم على غير الصواب ، والاصول ، فلحقني على الاخوان غيرة الدين ، ورق قلبي على ابناء جنسي المؤمنين فعزمت ان أشرح لهم من علوم الأئمة الامجاد الذي ادخرته نفسي ليوم الميعاد فلما هممت بذلك أشرق على نفسي وعقلي ، فخيل لي ان زمان الفترة ، زماناً منقلب ، وان كشف الاسرار فيه لايجب ، وستر الحقائق فيه مما يجب لتراكم الحجب ، وقوة الضد ، وما أمره الأئمة النجبا بسلوك مالايجب ، فتضعضع جدثي (٢) وكسفت شمسي ، وتحيرت نفسي ، فعند ذلك أشرق على عقلي جوهر قدسي ، وانسان انسي ، فاعلمني (٣) ان اجلي لم يتعدى مثل قسطي ، وأني في امساكي عن اخواني ورهطي ما أنعم الله علي به من علم أوليائه ، وشرح لي قول الامام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليهم ، مارواه من قول رسول الله (ﷺ) انه قال .

« اذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه ، وان لم يفعل ، فعليه لعنة الله » .

---

(١) في آ يتعن لي على تصنيف
(٢) (الجدث) القبر (ج) اجداث واجدث .
(٣) في ب عرفني .

وقال رسول الله (ﷺ) لعلي علينا منه السلام :

« لئن يهدي الله بك رجلا احب اليك (١) مما طلعت عليه الشمس»

وقال علي لـكميل بن زياد (٢)

يا كميل : هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أشخاصهم مفقودة وآثارهم في العالم موجودة (٣)

وقوله في معنى ذلك شعراً :

ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

لا يكمل المؤمن ايمانه ، حتى يرضى لاخيه المؤمن ما يرضى لنفسه .

وقوله :

« ربي كما ربيت وغزي كما غزيت واحسن كما احسن الله اليك »

فزادني فيما عزمت عليه من تضيف هذا الكتاب ، عندما كشف الله عني الكربة ، ومحا عن قلبي الرهبة ، فخيل لي هذه الاخبار المرويه من الائمه كلها مثلا على بر النصيحة لها واداء الامانة الى اهلها فشمرت

---

(١) آ ممن

(٢) كميل بن زياد النخعي قال كميل بن زياد اخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فاخرجني الى الجبان فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال :

(٣) جاء هذا الحديث في نهج البلاغة ج ٢ ص ١٨٥

يا كميل هلك خزان الاموال وهم أحياء ، والعلماء يأخذن ما بقي الدهر . اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة .

عند ذلك عن ساق اليقظة ، ونهضت وبادرت الى تضيف هذا الكتاب واسميته كتاب :

البيان لمباحث الاخوان

ورتبته بالدلالة على سبع مباحث من تحت الاصناف التجارة الأعراف فجلبته بلمعان الانكشاف ، كل بحث من شاف كاف .

الاول : في بيان حقيقة التوحيد ، والتجريد ، والتنزيه .

الثانى : في حدوث مبتدأ العوالم من الابداع الدائم .

الثالث : في النفس الناطقة والعلامة بالقوة الحسية بالذات .

الرابع : في معرفة الامام المقصود الحاد للحدود ، الظاهر الموجود

الخامس : في معرفة الانسان لطيفة من كثيفة

السادس : في معرفة الكيفية والامانة المعروفة على السموات والارض .

السابع : في معرفة الميثاق المأخوذ على حفظة هذه الأسرار .

المؤلف

المبحث الأول

في بيان حقيقة التوحيد والتجريد والتنزيه

من أجل الكلام عن البحث الأول المتضمن علم التوحيد والتجريد والتنزيه نقول بعون الله ومادة وليه ، الوارث لدين الله امير المؤمنين ، ولي النعمة ، وخاتم أبواب الرحمة .

إن أول مايجب شرحه وبيان جملته ، وتخليص حقيقته ، قول رسول الله ﷺ في أول بعثته الدينية ومعرفته بالله ..

وبيان ذلك ان التوحيد ، هو صفة للموحد الممجد ، وهو العقل الفعال احد[1] الحقيقة ومبتدأ الخليقة .

وهذا البحث ينقسم[2] ثلاثة أقسام .

توحيد.. تجريد.. تنزيه ..

التوحيد : هو اول حدود الربوبية ، والموحد المجيد هو اشراق الكلمة العلية الكينونية الذي هو الوجود السابق ، وهو مبتدأ الوجود

---

(١) في ب واحد

(٢) في آ الى

وابداع المنزه المعبود ، هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لا كثره[1] في هويته ، بل الكثرة ابتدأت من اشراق جوهريته، فهو الواحد بالحقيقة ومبتدأ الخليقة ، في جوهريته تكاثرت الموجودات ولزمها صفة الأعداد والازواج والافراد ، واليه عودتها حين المعاد وهو ابتداء العدد . والموجود الأول والمبدع الأكمل والعقل المفضل ، والسابق المنزل ، فالوحدة معنويته ، والأحدية صفته ، فواحديته من احديته ، واحديته أوليته ، وأوليته في آخرته وآخرته في أوليته .

فهو محدث البداية ، وأزلي النهاية، وهو أساس تأسست منه الأساسات وأصلا ظهرت عنه المبدعات والمخترعات وهو الحجاب الأعظم ، والاسم المعظم ، وهو مجمع الأسماء والصفات المنزه بوجوده عنها ، باري البرايا وصانع المصنوعات ، المنزه عن النسبة[2] والاضافات جل ذلك الجلال عن الادراك بالخواطر والمتوهمات ، ثم تلي ذلك الأصل الشريف تأليه وهي النفس الكلية ومعنى قوله الكلية ، لكونها هي الجوهر المحركة لكلية العالمين الروحاني والجسماني ، والعقل الكلي هو الجوهر الدراك لكلية العوالم وهو المشرف علينا منه ذواتنا ، وعين الله المطلع علينا ، اللائم لنا في اوقات ظهور قبائح أفعالنا ، فاحذر يابني

---

(١) في آ لا تكثر

(٢) في ب التنسيب

فهو هذا الموحد المبين ، ينبوع الخلق والدين ، ومكمل النهايتين ، أعلا عليين ، وأسفل سافلين وهو مقر الصالحين الملائكة العالين المقربين ، احلال فهم أنفس البرية ، وهو معاد الكل بالمثلية ، اذا تجلت نفسه الزكية بالصور الشرفية الذاتية وبذلك[1] ثم القول من جهة الربوبية ، في التوحيد ومعرفة الموصوف بالوحدانية[2] والاحدينة وهو العقل الفعال ينبوع الوجود وابداع المنزه المعبود ...

القول في أعمال التجريد .. وما هو المجرد ومن هو؟..

اعلم يابني علمك الله الخير وجعلك من أهله .

ان التجرد صفة الموصوف ، وهذا الموصوف هو امراً حادثاً ، بين العدم والوجود وهو الغاء وهو امر المنزه المعبود ، وهذا الامر هو مجرد[3] وعنه التجريد وهو الذي كان به السابق الوجودي نهاية العدم واول الوجود ، وهو محدود معدود ، والامر هو علته ، وسبب وجوده ، وهو مجرد عن الصفة التي هي التجريد والامر لايحصره

---

(١) في (آ) ثم

(٢) في (آ) الواحدية

(٣) في (ب) المجرد

عدد ولا يحيطه احد ، وهذا الامر مجرد عن التجريد سراً مصون مكنون بين الكاف والنون ، لان الكاف من حرف كن ، هو حرف علوي يمد والنون هو حرف سفلي يستمد ، والامر هو السر الالهي المكنون بين هذين الحرفين ، اللذين هما الكاف والنون ، وهذا المجرد عن التجريد والتعديد لا يمد ولا يعد يمد ولا يستمد وكن حرفين ، وهما الكاف والنون ، وهما السابق والتالي اصل الوجود وكل منها محدود معدود والامر علتها وسبب وجودهما وهو السر الالهي الذي بينهما وهو مجرد عن صفتهما ، وهذا الامر مقر التجريد ..

يمد الكاف اي السابق اول الوجود ، والنون التالي اعني (النفس الكلب) تالي الوجود يستمد من افاضة نور السابق فنون وعيون ، والامر الذي هو السر الالهي المكنون بين هذين الحرفين (الكاف والنون) مجرد عن صفة الحد لا يعد ، وهو يمد ولا يستمد ، وهو سبب المواد الممد والمستمد . وقد بان بهذا القول عن التجريد ، انه صفة الامر المجرد عن التجريد سراً والا هي قد سمى عني وصف من اوجد ومن يستمد .

التنزيه

التنزيه اشارة الى نفي صفات المخلوق عن المبدع الحق ، وانه لما كان التوحيد صفة الواحد للخليقة ومبتدأ الحقيقة ، والتجريد صفة الأمر

المجرد عن صفة الوحدية والاحدية ، كان التنزيه عدم الوهميـة لتلك المعنوية ، كما قال الامام الصادق : تنبيهاً لمن فهم من العدل ان لاتتهمـه ومن التقديس ان لاتوهمه وقال ايضا من عرف تنزيه من عبـد الاسم فقد كفر ومن عبد الاسم والمسمى فقد أشرك ، ومن عبـــد المعنى بحقيقته فقد تنزه وقصرت عن وصفه العبارات بالألسن الناطقة على كل اللغات ، لاإله الا هو كل شيء ومنتهى كل علم مبدع المبدعات ومخترع المخترعات الدائم بفردانيته المنزه عن الاين بجوهريته ، فسبحان من عجز عن ادراكه بالصفات وتقدس عن تشبيهه بالموجودات فهولا يعرف لمعرفة موجوداته ولا تنكر[1] مبدعاته ومخترعاته ، سبحان من أشرقت أنواره عن ادراك حواس المصنوعات ، وعزّت فيه أفكار المتأملين ، لأن المحدث لايدرك الا محدثاً ، فسبحان من ظهر بحكمته في خلقه ، وظهر لخلقه بخلقه من عدله بخلقه كهدمه ومدر رحمته ، بخلقـــه عصابيحه ، اذ جعل لنوره مصابيحاً من علة خلقه ومصابيحه مثـالا لائماً عن البلغاء من خلقه ، لم يكلف سبحانه ، عبـاده غير معرفته وعبادته واثبات ربوبيته والتآلف به وانه سبحانه لطيف في لطائف العقول خبير بما تكنه الصـــدور الذي اذا عجز[1] العقل عن ادراك كيفيته ، لقي من عجز العبودية حجبا واذا سمى الفكر الى سمائهـا وجدها حرساً شديداً أو شهباً خضعت لجلالة كبرياء جواهر العقول

---

(١) في (ب) عرج

الابداعية والاختراعية وتنزه بمجده عن كل معقول من البشرية ، فلا تعد تلك العقول من ادراك عظمته الا الى الاقرار بانه سبحانه وتعالى لالاخفائه استتر ولا لظهور موجوداته ظهر ، بل فيها جلال كبرياء واشراق فيضان قوسه بهر الأنوار فانحبست عن ادراك كنه ربوبيته اقمار البصائر ، لعدم ذكر وجود جل القادر المعبود عما يقول الكافر الجحود من الانكار والاعدام والتعطيل ، والتجسيم والتمديد فقدتبين لما شرحناه من علم الربوبية والمعرفة الالهية ، التوحيد والموحد المجيد وهو السابق وماهية التمديد وهو صفة الامر المجرد من التمديد ، وهو الكلمة الازلية العلية(١) العلوية سبب وجود سابق الوجود ، وهو العقل الفعال ، الموصوف المحدود ، ومعرفة التنزيه للمنزه عن الأسماء والصفات وهو باري البرايا وصانع المصنوعات .

---

(١) في (آ) انبجست

المبحث الثاني

في حدوث مبتدأ العوالم الابداع الدائم

وهو يشمل على :

حدوث العالم ووجوده بعد ان لم يكن ، وخروجه الى الوجود بعد العدم وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والفطرة هي الصنعة ، والصنعة بالتتميم وهي دالة على اثبات الصانع الحكيم ، فنقول في ذلك بمشيئة الله وعونه ومادة وليه .

لقد كان قديماً لاستحال حدوثه لاستحالة تعلق الحدوث بالقوم والوجود بالعدم ونقول له ايضاً : لو كان العلم للعالم قديماً لكان الفاعل معروفاً ونقول أيضاً هل للعالم فاعل (١) ومفعول ؟

فان قلت فاعلا (٢) لزم عنه مفعول ، محدث ضرورة وان قلت بل مفعول لزم حدوثه عن فاعل ، وان قلت لافاعل ولا مفعول ، لزم المحال

---

(١) في آ أو مفعول .

(٢) ان له فاعلا في ب .

عن قولك هذا لما تعانيه من حوادث وجودية ، لذا فقد ثبت بهذه البراهين ولزم ثبات الحدث واستحالة القدم .

ونقول ايضاً :

لو كان العالم موجوداً في القدم لاقتضى موجداً اوجده فاذا كان موجوده هذا موجوداً على الحال الذي تقدم ، اقتضى موجوداً آخر ، وتسلسل الحال الى ماليس له نهاية او اذا تسلسل الى غير نهاية استحال واذا استحال القول بالقدم ثبت الحدث ، فقد ثبت اذن بهذا البرهان ان هذا العالم محدث كائن بعد ان لم يكن ، وان موجوده سبحانه اوجده ابداعاً لامن شيء ، وانه سبحانه قال له كن فكان فيضاً واحداً وهو العقل الأول ، والموجود الأكمل (١) وظهر عنه تاليه مخترعاً من نوره ، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما . وعليهما ، والفيض الأول هو أصل الايجاد ، وهو المبدأ واليه المعاد وهو السابق صاحب التمام والكمال ، واشعة جواهر افراد بداعية عقلية ، واشعة التالي جواهر ازواج تركيبية ، كان منها الهيولى الأولى والجسم المطلق ، والجسم (الكوكبي والفلكي) والعنصري ، وهم الامهات الاربع والمتولدات (٢) الثلاثة ، واعلم يابني انار الله بصيرتك ، وجلا بنور الهدى سريرتك ان جميع المركبات الجرمانية جواهر ثنائية من اشعة التالي بواسطة الهيولي وقواها المحركة لها جواهر افرادية من أشعة

---

(١) في ب المكمل .

(٢) في آ المواليد .

الأمر بوساطة السابق ، وجميع المركبات الجسمانية التواليدية جواهر رباعية تركبت من تلك الجواهر الثنائية ، بوساطة الامهات الاربع وروحاياتها(١) المحركة لها وهي جواهر افراد من انشئة السابق بوساطة التالي واعلم ان مواد التالي من امر بوساطة السابق ، ومواد السابق مواد إلهية بوساطة الامر واعلم ان العالم بأسره بسيط ومركب ظهر من العدم الي الوجود بوساطة الأصلين ، العقل وهوالسابق ، والنفس الكلية وهي التالي ، فوجود مركباته من التالي بوساطة الهيولى ووجود روحاياتها المحركة له من السابق بوساطة التالي وعلة وجود هـذا العالم وهم الكاف والنون ، والامر فهو السر الالهي المكنون بين هذين الحرفين .

الكاف والنون ، فالكاف هي السابق المحدود المكتمل بفيض الجود وهو علة النون ، والتالي اصل تركيب الوجود أبدعه المبـدع نوراً ساطعاً واوجد من انواره الخلائق .

ثم من هذا الوجود الأول . والحجاب الاكمل الذي هو الكاف اول حرف كن العلوي حدث عالمان ، الخلق والدين .

فالدين من نسبة العليا وهي الكاف وهي حرف السابق التي بها ، يحد الخالق من نسبته السفلى وهي النون من حرف التالي التي بها يستمد بتواسط الامر وهو السر الالهي الذي بين الكاف والنون وهو علتهما وسبب وجودهما من الشيء . والخلق ينقسم على ثلاثة قسام :

---

(١) في (ب) روحانياتها

١ – عالم روحاني وهو الابداع وجواهره أفراد
٢ – عالم جرماني وهو الاقتراع وجواهره ازواج
٣ عالم جسماني وجواهره رباعية تركيبية تركبت عن تلك الجواهر الازواج ، فأولها الجسم المطلق ثم الافلاك والكواكب ، والافلاك تداورها الاسطقسات الاربعة التي هي : النار والهواء والماء والتراب[1] والمتولدات الثلاثة التي هي المعدن والنبات والحيوان ، وهيكل الانسان هو نهاية العالم الجسماني ، وهو البيت الاكمل والحجاب الآدمي الافضل ، وهو اول حجاب خاطب الله منه الخلق باوضح خطاب فقال سبحانه وتعالى « وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب »

ثم من تلك الجواهر التركيبية تركبت ، العالم الجرماني والعالم الجسماني ثم اسر في هذين العالمين الجواهر وهي الافراد الابداعية حركتها ودبرتها وسبكتها ثم ترتبت العوالم الثلاثة على ما هي عليه من كونها اجناساً وانواعاً وفصولا ، فالاول الابداع وهو السابق جنس الأجناس والثاني الاختراع وهو اساس من اساس وهو التالي الذي هو انواع القسم الثالث المكنون الطبيعي الجسماني المتألف من جواهر تركيبية وهو الجسم المطلق اصل الموجودات الجسمانية وهي الافلاك والكواكب والامهات الاربع ، وهي جنس المتولدات الثلاثة ، وهي المعدن والنبات والحيوان ، والحيوان جنس الانسان ، والانسان جنس

---

(١) في (ب) الارض

العاقل ، والعاقل جنس العالم ، والعالم جنس المؤيد ، والمؤيد جنس المصطفى ، والمصطفى جنس للنبوة ، والنبوة جنس للامامة ، والامامة جنس للرسالة ، قال الحكيم الصادق لمن فهم عنه كلاماً للحكمة اعلاماً.

« ان الله اتخذ ابراهيم خليلا ، ثم اتخذه اماما »

ما الامام مقدم على العالم الروحاني بجوهره الدراك ، وهو نفس الشخص الحي والحجاب الاوحى ، وهو المحرك له والمتحـــــد به ، والناطق من لسانه ، وهو بالمعنوية الشريفة ، لابالصورة الكيفية ، وكذلك قال : اني جاعل في الارض خليفة ، وبذلك أشار الى الصورة والجنسيه والكلمة الالهية الأولية ، الازلية ، المتصلة بنفس الصوره الالهية الجنسية الادمية الامامية ، وهي الامر الالهى ، والسر المصون المكنون ، بين الكاف والنون ، وهو المتصل بالامام الصادق من حجاب السابق ، وهو صورة الدين المشرقة ، من صورة الامام علي العالمين ، وهو الامام الحقيقي بالجوهرية لا بالصورية ، واعلم يابني علمك الله الخير ، وجعلك من اهله ، ان الغاية من تسمية هذه الاصول بالاجناس ، هو ان الجنس الذي هو الامر الكني ، والعالم المحيط بما تحته ، من الانواع والفصول ، واني أقرب ذلك عليك ، ومسهله لك ، حتى لايصعب عليك منه شيئاً . بمثال محسوس منظور يكون قريباً الى جنسك .

* * *

الفصل الاول

اعلم ايها الطالب أيدك الله بنوره ، ان العالم بأسره شخص واحد ، وهو انسان كبير ، مسبح لباريه ، مقدس الى فاطره ، ومنشىء علته ، السابق ونفس قدسه التالى ، وقلبه الجسد ، وقوة وحيه ونموه الفتح والخيال ، وصورة اعضائه الآية ، وعيناه الهيولى والصورة ، وجوارحه الكواكب المسبّعة والبروج الاثنى عشر ، وشطره الايسر السفلي ، المعـــدن والنبات ، وشطره الايمن الحيوان والانسان . وذلك تقدير العزيز العليم .

واعلم يابني ، ألهمك مولاك الى الصواب ، وفتح لك من كل باب خيراً ان هذا العالم ، الذي هو انسان اصله كبير ، ومبدأه السابق المشرق من انوار الوحدة ، وهذا الفعل الفعال المحيط بالاشياء التي عنه تأسست وبه تأثرت ، فظهرت بعجائبها وانجبت بعضها من بعض ، وهو اصل مبدأها ومنشأها ، واليه معادها ، وهو موجود كائن محدث بعد ان لم يكن . وهو على نسبتين وهما الكاف والنون لتنزه مبدعه سبحانه وتعالى عن النسب والصفات ، وتعزز وتجلل باري الـــبرايا ، وصانع المصنوعات عن ادراك الخواطر والمتوهمات ، مزمن الازمان ، المتعالي عما تحرك وسكن بايجاده لجوهره السابق الذي جعله علة الوجود لما ظهر وبطن ولو لم يكن في اصله على نسبتين ، لما ظهر عنه تاليـه ، لان النتيجة الا يظهر عن مقدمة واحدة ، وانما تظهر النتيجة عن مقدمتين .

ولهذا كان أصله على نسبتين ، ولو ظهر ايضاً عن اصله تاليه على نسبة واحدة لما اصبح بينه وبين مبدعه اي فرق ، لانه سبحانه وتعالى ابدعه بلا واسطة مقدمة ، ولا علة موجبة لوجوده غير موجودة ، فهو بما هو ولم تتوثب الامور الا بما تقدمت ، كما تقدم السابق ، وهو المبدأ واليه المعاد كقوله تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » ..

ومنه بدأت واليه يابني تعود ، إلا انك كأن من الارادة العلوية التي هي الوحدة وهي السر المكنون بين الكاف والنون .

والسابق سبب اظهار الوجود بأسره ، وهو اصلاً له نسبتان : عليا وسفلى ، فالكاف النسبة العليا وتسمى الجود ، والنون للنسبة السفلى وتسمى الوجود ، والسابق واسطة بين النسبة العليا وبين ماظهر عنه من مبادىء الجدود ، ومن هاتين النسبتين ظهر عالمان : الخلق والدين ، فالخلق من النسبة السفلى التي بها يستمد ، والدين من النسبة العليا التي بها يمد .

وانا يابني اقرب المعنى عليك ، بمثال محسوس تشاهده عياناً وابين لك فيه كيفية رجوع هذه القوة الى الاصل الذي بدأت منه في أسرع وقت وسبب تأخرها الى حين .

اعلم يابني ان هذا الاصل الذي هو العقل الفعال ، الذي أنت منه بالجوهرية لا بالصورية ، مثله في العالم العقلي مثل الشمس في العالم الجرمي ، واشراق الشمس أنوارها على العالم الحسي الجسمي ، مثل

ابراز الموجودات من العقل الكلي ، وهو العالم بأسره . وذلك ان الشمس تأفل (١) عند الغروب ، مما كان من اشعتها قد ثبت بالأجسام يصعب لحوقه بأصله الذي هو قرص الشمس ، وما لم يكن قد ثبت بغير الاجسام ينضم الى اصله عند الأفول في اسرع وقت . المقصود من ذلك ان من جوهريته الحكيمة اظهار الحكمة كما ان من جوهرية الشمس اظهار الحرارة والاضاءة طبعاً لا كسباً (٢) . وكذلك ابدع الباري سبحانه وتعالى الوجود بدون سبب بل قال كن فكان نوراً سابقاً اوجد منه انوار الخلائق على ثلاثة عوالم (٣) : روحاني ، وجرماني ، وجسماني . فالعالم الروحاني جواهره فراد وهي جواهر السابق ، والعالم الجرماني جواهره ازواج تركيبية تركبت منها الكواكب والأفلاك والأمهات الأربع . والعالم الجسماني تركب من الامهات الاربع ، والمتولدات الثلاث ، المعدن ، والنبات ، والحيوان ، (السابح والطائر والمكبوب) وجوداً تجلى كالاشباح غير متزايد غني عن النمو والشعور قبل وصول النفوس الناطقة اليها ، ولم يكن ثمة حيوان منتصب .

وقد تحركت العوالم التركيبية بحركة طبيعية ، هيابية ، خبرية ، منذ ذلك نظرت القوى الابداعية المسماة نفوساً جزئية ، الى رونق العوالم التركيبية فطلبت الهبوط اليها والنزول عليها الى ان تجزئها وتحصل لها

---

(١) في ب تقل .

(١) في « آ » اكتسابيا .

(٢) في « ب » أسطار .

الابدان بمعرفتها ، فنهيت عن ذلك فلم تنته ، فكان ذلك زلتها وخطيئتها التي هبطت من أجلها ، وقيل لها يا أيتها النفس الابداعية ، أتستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خيراً ؟

اهبطوا : فهبطت هذه القوى بهذا السبب الى العوالم التركيبية بعد أخذ الميثاق عليهم وهو قوله تعالى :

« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم . ألست بربكم ؟ قالوا بلى ... »

وذلك لكي لاينكروه في عالم الكون والفساد ، وان يطيعوه ويدخلوا تحت طاعة امره ونهيه ليكون بذلك خلاصهم من عالم الكون والفساد ورجوعهم الى مقرهم الشريف الروحاني الذي فارقوه ، فأخذ الله الميثاق على القوى الابداعية الواردة الى هذا العالم الذي هو الأمر وهو الامام الحقيقي ، عرفاً عرفناه ، كما أقررت به في البداية ، فان تكشف له هذه الوصية خلدوا في عالم الكون والفساد بعد رجوعهم ، كما قال تعالى : « وما منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً (الاية) » ولن يخلصوا من عالمهم إلا اذا دخلوا في طاعة الامام .

وعند ذلك أنشأ سبحانه وتعالى من هذه القوى الابداعية اشخاصاً حيوانية بصورة منتصبة الغية لتتوب عن خطيئها وزلتها اثناء وجودها في هذا العالم ، ومنها يكون لحوقها بعالمها العلوي السرمدي .

وأوجد سبحانه لهذا الحيوان المنتصب ، وهو غاية غرض الرب ، ومنتهي فعل الطبيعة ، وأوجب الحكمة الالهية والاعانة الربانيــــة أن

يكون له أرضاً تقله ، وسماءً تظله ، ونباتاً يغتذ به ، وحيواناً يستخدمه فنفذ الامام كله الى العقل الفعال ، فانصبغت جوهريته بصورة الوجود كله ، لما صور هذا الحيوان المنتصب نهايته ، وأشرق العقل على النفس الكلية التي هي تاليه فظهر من بين امتزاجهما صورة الوجود ، وارتقمت تلك الصورة الوجودية في الهيولى الاولية ، فكان اول صورة ظهرت في الهيولى ، الجسم المطلق مركب من جواهر التالي الثنائية(١) التركيبية ، وظهرت من بين الهيولى والجسم المطلق صورة فلكية مركبة على الجواهر التركيبية ، فوضعها فيهم صور كوكبية نيرة مضية ، مركبة من الجواهر الثنائية التركيبية ، وسرت تلك الارادة من الكواكب والافلاك محمولة على الحركة حتى تظهر من بين اصطكاكها صوراً طبيعية نارية ، وهوائية ، ومائية ، وأرضية ، ثم سرت تلك الارادة الى الاركان الاربعة ، فظهر عنها زبدة معدنية ، ونباتية ، وحيوانية ، ومنتصبة الفية مركبة من جواهر رباعية نارية وهوائية ، ومائية ، وترابية ، ثم سرت هذه الارادة الالهية الى الدارة الحيوانية فنوعتها أربعة انواع : مكبوبة ، ترابية ، وطائرة هوائية ، وسابحة مائية ، ومنتصبة الفية . وهو آدم ابو البرية وزوجته ، ثم تولد منهما هذا الجسم(٢) المنتصب وسرت في هذه المراكز الوجودية الفلكية والكوكبية والطبيعية والنارية والمائية والهوائية والارضية المركبة من

(١) في « آ » التائبة .

(٢) في « ب » الجنس .

الجواهر الرباعية ، ووردت اليهم كلهم ، وسرت في اطوارهم الافراد الروحانية الابداعية المسماة نفوساً جزئية ، فحركتهم ودبرتهم ، وأعطت كل مركز منهم مايستحقه على أحسن قضية . ثم اتصلت هذه القوى بعد سلوك اطوار المراكز الثلاثة المعدنية والنباتية والحيوانية بهذه الصورة المنتصبة الالفية ، وذلك ان الباري جل ثناؤه أوجد الوجود بقدرته وحكمته وروحانيته وجسمانيته .

وارادة الاظهار بمعرفته واختيار اطوار خلقته ، فزجرها ابوها العقل فلم تنزجر ، وردعها فلم ترتدع ، فكأن خالقها سبحانه قد خلقها متحيرة بحيرها لتثبت بذلك الحجة عليها ، فأخذت عنه ذلك الميثاق المذكور في القرآن ، فمنهم من اسرع في الاجابة فبقي في عالمه ، ومنهم من ابطئ (١) فهبط بزلته الاولى وهو عشقه للطبيعة ، وخطيئته الثانية وهي ابطاءه عن الاقرار بالربوبية ، فنفسه لاتميل الا اذا اتصلت بهذه المراكز الوجوديه والصور الألفيـــة المنتصبة الآدمية مشتهياتها المردية فتقهر قوتها الشيطانية التي من خصائلها الكبرى الحقد والغضب والحسد والقهر والغلبة والانتقام فيما لايرضي الله ؛ وان تكون سريعة الى طاعه ولي الله في ارضه ، داخلة تحت مايأمرها به منتهية عما نهاها عنه مستجيبة لنواهيه ، وتكون بطلوعها ، عائدة الى عالمها الذي بدأت منه ، مستلقية مايأتيها من بركاته على يد ولي زمانها منتظرة العودة اليه عند فراغ مدتها المقدرة لها وكذلك أخذ عليها العهود في هذا العالم

---

(١) في « ا » أبطئ .

لتتذكر - اشترط عليها في عالمها قبل ورودها حتى أخذ عليها الميثاق، فان ذكرت وتابت الى ربها من زلتها وأطاعت ولي زمانها تخلصت من أسر عالم الكون والفساد، ولحقت في عالمها عند فراغ مدتها المدة المذكورة لها في اسرع وقت كلحوق شعاع الشمس المضروب به المثل في أول الفصل بأصله الذي هو قرص الشمس اذ لم يتشبث بالاوصاخ المعدنيــــة في اسرع وقت، وان هي قصرت عن الوفاء بتلك الشروط واشتغلت بميلها الى مشتهيات الطبيعة فمالت اليها بكليتها، فنسيت عالمها واظلم عليها جوهرها، وصدأ نورها فتشوهت خلقتها، وبدلت صورتها اللطيفة الملكية، بصورة شيطانية أعاقهــا عن لحوقها بعالمها كلحوق شعاع الشمس في اسرع وقت، اذ لم تنغمس بالاوصاخ المعدنية، وتنحط يابني هذه الصورة الشريفة لتخلفها عن التقيد بالشروط المفروضة عليها فتهبط الى اسفل السافلين.

كما قال الله سبحانه وتعالى: «لا منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا وانذر الظالمين فيها جثياً».

بهذه الواسطة يابني تتخلص نفسك، وبواسطتها تعود اذا تجلت نفسك القدسية بالصورة الدينية الملكية، وتجنت الصورة الشيطانية المخالفة، وسرت في هذا العالم التركيبي من محيطه الى نهايته، وهي صورة الانسان القدسية، واذا ارتسمت فيها العلوم الالهية، وتصورت بالصورة الدينية سميت عقلية، وقدسية، وملكية، ومؤيدة نبوية، وعند ذلك تتصل فيها الكلمة الالهية من الحدود الخمسة العلوية بعد

تسليمها عند الحدود الخمسة السفلية والعلوية ، شخصاً دينياً وانساناً علوي مؤنساً على مثال الشخص البشري ، لان الله أسس دينه على مثال خلقه ، على حدوده وبحدوده على توحيده : ويكون يابني عقل هذا الشخص الرسول الناطق ونفسه القدسية الاساس الصادق ، وقلبه الامام الباعث (١) وقوة حسه ونموه الكتاب والسنة ، وصورة أعضائه الآلية ، وغير الآلية ، التأويل والبرهان وكشف معجزات القرآن وكلامه وعظ الآنام (٢) وأخذ عهد الايمان وهو في عصرنا هذا الامام الوارث لدين الله امير المؤمنين ، النبأ العظيم ، الذين هم فيه مختلفون وهو الذي قال فيه الله بلسان قدسه : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه اجراً عظيماً .

وهذا الشخص الفاضل والانسان الكامل هو سر الله في العالم وهو الشيخ الذري والعقل الكمي ، الذي لا تراه العيون إلا من ظاهر الصورة وهو المتحد بالامام الجزئي . والشخص الانسي ، والحجاب الآدمي البشري ، وهو امر الله العظيم وجوده العميم ، والجوهر المكنون ، والسر المصون ، ينبوع المبدعات ، وعلة المخترعات ، إمام العالمين ، ونور الطائعين ، ويعثوب الدين الذى به حياة الكل ، وهو من اجل خلاصنا قد حل في الوجود السفلي ، وتأنس لنا بواحداً منا ، تأنس نفسه

---

(١) في « ا » الباحث .

(٢) في « ا » الامام .

لنفسه ، موجوداً غير مفقود ، لا يدركه الزمان ولا يدخل تحت حوادث الايام ، قدسي إلهي ، جوهري كلي .نوراً سارحاً في الملكوت الاول من قبل ان تكون الاسماء مبنية ، والارض مدحية ، والجبال مرسية ، والبحار جارية ،وهو سبب ابداع الحدود الروحانية ،واختراع الهيا كل الجرمانية ، والصور الحيوانية ، والاشخاص الانسانية ، انحدت الارادات الالهية بالاشعة العقلية ، فظهرت الصورة الالفية ، بلا فكر ولا روية وجعلها مركز العبادة ومسقط للرحمة القديمة الازلية ابداً ابداً خالدة سرمدية .

* * *

المبحث الثالث

في معرفة النفس الناطقة ذات الأنوار البارقة

اعلم يابني علمك الله الخير وجعلك من اهله ، ان الله سبحانه وتعالى بذر[1] في العقل كلية الأشياء ابداعاً ، والنفس الناطقة من جملة الأشياء المبزورة[2] فيه ، فالنفس الناطقة ابداعاً من اساس ، فلما ظهرت الى الوجود في هوية العقل صارت اشياء عقلية ، ابداعية ، فلا ينبغي عودتها الى العدم الذي بدت منه بعدبروزها الىالوجود ، فالناطقة الأبداعية ، لاتعود الى العدم بعد الوجود بلتعود الىمجاورة[3] العقل الذى برزت منه ، عودة مثلية ، اذ هي هو بالجوهرية ، ثم تعود اليه بالمثلية ، فلا يكون بينهما غيرية ، هذا هو البيان الشافي في ماهية النفس الناطقة ومعادها ، بوجهين من القول فتأمله يابني بعين عقلك ، تأمل من يريد النجاة لنفسه ، فيصعد بعلمه ، ويفوز بفهمه معالفائزين ، ان شاء الله تعالى .

---

(١) في (ب) أبرز (٢) في (ب) المبروزة

(٣) في (ب) للعقل

الفصل الاول

اعلم يابني ان متولدات دار الحس ، وهي المعدن ، والنبات ، والحيوان ، كما كانت مركبات من الأركان الأربعة ، كان اذا انحل منها شيء عاد الى ماتركب منه ، والنفس الناطقة التي تم ابداع ظهورها من العدم ، لا يمكن عودتها اليه بعد الوجود مشابه ، كانت او معاقبة ، بل تكون عودتها الى مركزها الابداعي الذى برزت فيه حين ابداعها من العدم الى الوجود (١) وهو العقل الفعال اذا قفذت(٢) بالاغذية العلمية ، وكملت صورتها الدينية في المراكز الوجودية ، عادت على قدر درجاتها في المراتب العلمية ، وكذلك تكون الفطرات الجاهلة ، للظفر حتى العلو الالهية ، والمعادن الربانية ، عائدة الى المراكز السفلية ، الطبيعية ، المعدنية ، والنباتية ، والحيوانية ، على قدر تقصيرها يكون استحقاقها .

هذا هو البيان الجلي ، في مبتدأ النفس الناطقه ومعادها ، ودليل ثالث انا نقول : ان(٣) الاجزاء النارية الكامنة(٤) في الزناد ، ناراً بالقوة ، لافعل لها . إلا بالاقداح ـ تخرج من القوة الى الفعل ، ثم يعد

( ) في (ب) للوجود (٢) في (ب) قعدت

(٣) في (آ) اذ الاجزاء . (٤) في (ب) المكمنة

ذلك القادح لها . حراثاً مهيء قبول[1] الشرار الطائر في الزناد ، بما فيه النارية ، فاذا قبلها الحراق ، والقى عليهـا الوقود الزائد ، فكلما زادت وقوداً ارددادت قوتها أقوى من الاول ، واذا انقطع عنهـا الوقود ، انقطعت ، وعادت . الى هيكلها ، ولحقت بعنصرها الذى هو الاثير ، بالاختلاط لانها جزء منه ، والنفس الناطقة ابداع[2] لامن شيء ، فتعود اليه ، ولا جزءً من الـكل[3] فتخالط به ، بل هي ابداع لا من شيء فتعود اليه ، بل هي جوهرة ابداعية . ظهرت[4] الى مركز الابداع وجوداً عينياً ، ثم برزت منه فشقت العوالم الي مركز الارض ، وهو[5] أشد ظلمانية من جميع المراكز التي[6] جاوزتها ، فهو نهـاية ورودها ، ثم ترقت منه ، فصارت الى المعدن ، ثم الى النبات ، ثم الى الحيوان ، ثم الى صورة الانسان ، فعند ذلك اتصلت[7] بهـا مواد الحدود السفلية[8] الذين هم النطقاء والاسس[9] والائمة والحجج ، والدعاة ، وقد تقدم شرح ذلك .

فعند ذلك تنتقل من الصورة الانسانية الى الصـــورة الملكية ،

---

(١) في (ب) القبول
(٢) في (آ) ابداعاً
(٣) في (ب) كل
(٤) في (ب) ثم ظهرت
(٥) في (ب) وهم
(٦) في (آ) الذي
(٧) في (ب) اتصل
(٨) في (ب) السفلى .
(٩) في (ب) الاساس .

اذا[١] قبلت المواد ، ثم تتصل بها عند هذه الدرجة مواد الحدود العلوية ، وهم مواد التالي ، فاذا كملت مواد التالي اتصلت بها مواد السابق ، فاذا نالت مواده ، ارتقت الى عالم الملكوت ، وحاولت النفوذ منها الى ادراك الربوبية ، منذ ذلك يناديها عجب العبودية « يأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » [٢] معناه : أرجعي الى مركز الابداع التي انت من جوهريته واشكريه [٣] فهو غايتك ، ومنتهى طلبك .

واعلم يابنى ان الواجب عليك أن تعتني باستخراج نفسك من القول الى الفعل ، ومن الكمون الى الظهور ، بمعرفة حقائق الاشياء التي تحتاج اليها في معادك ، ولا تقنع بالخمول مع الجهال ، الذين لافهم لهم ، ولا معرفة عندهم ، وهو ما أشرت به عليك في هذا الكتاب ، ومما نبهتك اليه [٤] في ذلك فخذه بقوة[٥] وكن به ضنين[٦] وعليه غيور وأمين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، فعند الصباح يحمد القوم السرى[٧] وهو يوم لاينفع نفس ايمانها ، اذ لم تكن آمنت من قبل ، وكسبت في ايمانها خيراً ، فالندم[٨] لاينفع بعد الموت ، فاجتهد يابني ،

---

(١) في (ب) إن .

(٢) قرآن كريم صورة ـ اب ـ

(٣) في (ا) وأشكري

(٤) في (ب) عليه

(٥) في (ب) في قوة

(٦) في (ب) ظنين

(٧) في (آ) ماأسر

(٨) في (ب) فان الندم

لتصل الى بلوغ سعادتك الكبرى في آفاق من أفق مركز الابداع الذي هو العقل الفعال مقرك بعد ابداعك واشكره [1] على ذلك ، فهو غايتك في معادك .

●○●

الفصل الثاني

في بيان ماهية النفس الناطقة ، ومقرها حين أبدعت، ومعادها الذي اليه تعود ...

نقول في ذلك والله ولي النعمة ، وفاتح ابواب الرحمة :

ان النفس الناطقة ، من تقدير الباري سبحانه في ماهية السابق بذر [2] إبداعي مقترن بابداع السابق كتقدير النطفة [3] في أصلاب الذكور [4] من الحيوان ، والانسان ، وظهور تلك النطفة بين الزوجين من الحيوان ، والانسان . بهيجان شهوة النكاح ، وكذلك السابق لما امتلأ جوهره من انوار هذه البزرة [5] الابداعية ، التي هي نفس الناطق اشتاقت الى ابراز هذه البزرة من هويته الى تاليه ، فهاج لذلك

---

(١) في (آ) واشكر .

(٢) في (ب) برز

(٣) في (ب) العذا انطفها.

(٤) في (ب) الذكران

(٥) في (آ) البرزة .

كهيجان الذكور (١) من الحيوان ، والانسان لنيل النطفة (٢) بشهوة النكاح ، واقبال السابق على التالي بارسال تلك البذور (٣) التي هي النفوس اليه ، واقبال التالي على السابق لتناول تلك البـذور التي هي النفوس الناطقة ، بشهوة النـكاح ، فظهر من بين امتـــداد السابق واستمداد التالي النفوس الناطقة لا عن (٤) قصد من السابق ولا من التالي ، بل بارادة خارجة عنها كما يظهر من تناكح الزوجين الحيوانية والانسانية ، نطف من غير قصد منها ، فكانت النفس الناطقة عنـــد ورودها من مركز ذلك قابلة لما تتصور به من صور الموجودات التي سلكتها ، لتصير علامة بالفعل ، بعد ان كانت علامة بالقوة ، قابلة لتصوير روحانيات الكواكب الذي يصدر بها انساناً بالفعل ، ذلك تقـــدير العزيز العليم ، فسبب مواليـد الحيوان بشهوة النكاح ، فلم تزل تلك الشهوة تحرك الذكر والانثى على النـكاح حتى برزت بينهما (بالـغ الى بالغة) نطفة هي مولودهما من غير قصد منهما لأن قصدهمـا كان تسكين حرقان شهوة النـكاح . واطفاء نارها . ثم اننا نعلم ان اصل النطفـة ، السلالة ، لا من ذكر ولا من انثى ، بل هي زبدة الاغذية المتناولة ومخض لبانتها ، واما الزوجين الذكر والانثى ليست لهم فيها صنع غير الواسطة فقط .

---

(١) في (ب) الذكران (٢) في (ب) النطفة من الذكران .

(٣) في (ب) البروز .

(٤) في (آ) لا من .

وكذلك النفس الناطقة بذرت (١) في العقل الذي هو السابق من تقدير الباری سبحانه وتعالى ابداعاً ثم برزت الى التالي ابتعاثاً ، ثم من التالي الى مراكز (٢) العوالم (٣) توليداً ، وما للسابق والتالي صنع فيها غير الوساطة .

ودليل ذلك ان الله سبحانه ، كمل العقل وبذر فيه كلية الأشياء ابداعاً . والنفس الناطقة من جملة الأشياء المبتدعة المبروزة في هوية العقل ، بروز الأشياء الى النفس الذي هو التالي بأمر الباري سبحانه والنفس الناطقة مولود الابداع . لا من شيء بل بالامر الالهي وبوساطة السابق وللتالي ، اذهما جملة الأمر الذي هو كلمة (كن) وبيان ذلك ان (كن) حرفان وهما : الكاف والنون ، فالكاف نسبة عليا للعقل التي هو بها الأمر السابق ، والنون نسبة سفلى اتي هو بها قابل لذلك الأمر ، وهو التالي ، والامر سر اليه مكنون بين الكاف والنون ، والنفس الناطقة ، والأشياء الابداعية خارجة ابداعاً من العدم الى الوجود ، دفعة واحدة بوساطة هذين الحرفين الذي مجموعها كلمة كن ، والنفس الناطقة مولودها المشابه لهما ، وذلك ان النفس الناطقة قوتان احداهما قابلة ، والأخرى مميزة ، فهي بالقابلية شبه النفس الكلية ، لقبولها مواد العقل ، وبالقوة المتميزة تشبه العقل في تمييزه الاشياء ووضع كل منها في الموضع اللائق ، ولها تصريف غير ذلك . وهو

---

(١) في (ب) مبروز (٢) في (آ) مركز

(٣) في (ا) العالم

بما فيها من علامات الوحدة وكيفية ظهور النفس ابداعاً الى الوجود وعجزها عن صفة باريها، عجز المصنوع عن ادراك الصانع.

وخلاصة جميع ماشرحنا أن النفس الناطقة وجدت ابداعاً من ليس، وخرجت من العدم الى الوجود، بأمر باري البرايا، وصانع المصنوعات المتعالى عن الاسماء والصفات، ويكون معادها الي هوية العقل ينبوع المبدعات، وعلة المخترعات، لا إلى العدم والنفس شيء ابداعي، والابداع لا يعود الى العدم، لذا فان النفس لاتعود الى العدم بعد الوجود، وهذا مستحيل، بل يعود الوجود الى الوجود، عودة كمال ومماثلة، لاعودة ممازجة ومماحلة، كعودة الأجزاء الطبيعية الى استقصاتها عودة اختلاط ومماحلة، والنفس الناطقة ابداع، ومعاد الابداع الى الابداع.

وعلى هذا المثال الشافي الجلي في مبدأ النفس ومعادها ولحوقها بعالمها الابداعي عند كمالها وتمامها إرتسمت (١) الصور الوجودية، والسدنية، فتأملها تسعد ان شاء الله تعالى.

✲ ✲ ✲

الفصل الثالث

اعلم يابني ألهمك الصواب، وفتح لك من كل علم باب، أن العالم على ثلاثة اقسام:

---

(١) بارتسام.

١ روحاني وهو السابق ، الذي هو ينبوع المبدعات ، وعلة المخترعات ، الخارج من العدم الى الوجود ، ابداع الباري وتقديره ، بوساطة الأمر أشعته ، وهو روحانيات ، وجواهر أفرد بها حياة العالم وحركاته ، وهم الملائكة المقربون .

٢ عالم جرماني ، وهو الاختراع ، وهو التالى المخترع عن أشعة الأمر بوساطة السابق واشعته ، وهم روحانيته جواهر أزواج تركيبية تركبت منها الهيولى ، والجسم المطلق ، والافلاك ، والكواكب ، والامهات الاربع ،والعالم الجسماني المطلق ، والافلاك ، والكواكب ، والامهات الاربع . والعالم الجسماني المركب من الجواهر الثنائيـــة ، بتقدير السابق ، ووساطة التالي وهم الامهات الاربع : النار ، والهواء والماء ، والارض . والدليل على ذلك روحانيات الكواكب ، المديرات لعالم الكون والفساد ، هم أشعة السابق وهم الجواهر الافراد الذي بهم حياة العالم ، وحركة جميع المركبات الجرمانية والجسمانية .

واعلم يابني ان ماوصفته لك من علله ومعلولاته ، ومباديه ، وغاياته ، هو العالم الديني المستفاد من الشخص الفاضل الالهي ، والحجاب البشري وهذه صورة فتأملها ان كنت تريد(١) لنفسك النجاة(٢) وكن به وثيق فطين وعليه غيور امين .

---

(١) في (ب) يريد

(٢) في (ب) السعادة

فلنتكلم الآن عن معرفة النفس الناطقة وهي القوة الغريبة ، والجوهرة الوحيدة ، الحادثة في مقرها الأولى المشتبه بدار الهيولى ، ولنبين ماهي ؟ وما اصلها ؟ وكيف وجدت ؟ وما السبب في هبوطها الى هذا العالم ؟ والى اين تعود اذا كانت مثابة ؟ والى اين تعود اذا كانت معاقبة !

واعلم يابني علمك الخير ، وجعلك من أهله ، ان الله سبحانه وتعالى قدر الوجود على ثلاثة أبعاد :

١ — عالم روحاني وهو السابق وبذر (١) فيه جواهر أفراد .

٢ — عالم جرماني وجواهره أزواج ثنائية .

٣ — عالم جسماني جواهره رباعية .

فترتب الوجود بروحانيته ، وجرمانيته ، وجسمانيته ، على أحسن قضية ، وأصبحت حركته عرضية وهمانية ، ثم وجدت الناطقة من تقدير الباري سبحانه في هدية العقل ، ابداعاً ، لا من شيء ، فطلبت السلوك في أطوار العوالم لتختبره وتعلم حقيقته ، وكان مبدعها سبحانه قد اختار لها هذا المركز الابداعي لنفاسة وجلالة قدره . ولعظم منزلتها عنده (٢) فزجرها عن طلبها ذلك فلم تزجر (٣) وردعها فلم ترتدع ، فملكها عند ذلك قوة الاستطاعة ، لتثبت بذلك الحجة عليها ،

(١) في (ب) برز

(٢) في (آ) عنه .

(٣) في (ب) تنذجر .

ثم أمرها اذا وردت الى عالم الكون والفساد أن تكون داخلة تحت طاعة صاحب العصر والزمان ، ساجدة له قابلة بأوامره ، منتهية عن معاصيه ، ثم أخذ عليها الميثاق المذكور في القرآن ، فهبطت هذه القوى [1] الى العوالم وكانت بذلك ذلتها ، وخطيئتها ، التي هبطت من أجلها ، فكان مثلها كمثل من قيل لها : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير [2] اهبطوا الى العوالم الوجودية ، والهيولانية ، والجرمانية ، والفلكية ، والكوكبية ، والى العوالم الجسمانية ، الاسطقصائية ، النارية ، والهوائية والمائية ، والأرضية . والى العوالم المولدات [3] المعدنية ، والنباتية ، والجسمانية ، التي نهايتها الهياكل الانسانية .

وقد ثبت ان هذه الجواهر الناطقة موجودة في العوالم ، حيث كان في كل عالم منها عدد [4] موكلون بحفظ ذلك العالم وتدبيره مدة مقدرة ، ثم يهبطون منه وتتسلمه قوة واردة غيرهم ، فكانت كل قوة من هذه القوى ، اذا وردت الى مركز من المراكز تدبرت مدة مقدرة . ثم تهبط الى الذي دونه ، وتتسلمه القوة الواردة من المركز الذي فوقه ، كذلك الى مركز الارض . ثم تصعد هذه القوة الواردة اليه منه الى الذي فوقه وهو المعدن ، فكانت هذه المراكز أصفى من مركز الارض ، وأشرف ، اذ كانت نهاية المركبات ، وأشد ظلمانية من جميع

(١) في (آ) القوة (ا)

(٢) في (ب) المتولدية

(٣) في (آ) منهم عده .

المراكز الوجودية ، ومنها تكون عودة القوة [1] الواردة اليها والى ما هو أشرف منها وأسنى جوهراً ، وهو البدن ، ثم تنتقل هذه القوة الى المركز النباتي ، ثم الى المركز الحيواني ، ثم الى الهيكل الانساني .

واعلم يا بني ألهمك الله الى الصواب ، ان هذه القوة [2] المبدعة بتقدير الباري ووساطة الأمر ابداعاً مستمراً فيضاً غير معني ، فكان العقل الفعال لها مركزاً فتعينت فيه ، فكان مثال ذلك كالغذاء [3] الواصل الى اصلاب [4] الذكور [5] غير متعين ، ثم تعين هناك فكان لحماً وشحماً وغير ذلك ، ثم كانت خلاصة نطفة ، ثم تميزت النطف في الاصلاب ، فكانت منها مخلوقة ، وغير مخلوقة ، فالبارزة من الاصلاب الى البطون خالقة ، والباقية فيها دماً غير خالقة ، كذلك حال الفيض[6] الابداعي المستقر بقدرة البارى ووساطة الامر في هوية العقل ، وكان غير متعين ثم صار هناك أعياناً ، فمنهم الواردون الى مراكز العوالم ، كالنطف الواردة من أصلاب الذكور الى بطون الاناث ، ومنهم مستقر في مركزه وهم الملائكة العالون ، ومنهم المقربون ، وهم الثلاثة الواصلون فالوحي الى الرسل والانبياء ، ومنهم حملة العرش لقوله تعالى « ويحمل

(١) في (ب) القوى (٢) في (ب) القوى
(٣) في (آ) كالفدى (٤) في (ب) الاصلاب
(٥) في (ب) الذكرات (٦) في (ب) مخلقه
(٧) في (آ) هذا الفيض .

عرش ربك يومئذ ثمانية [1] » ومنهم روحانيات الكواكب السابقة ، ومنهم روحانيات الكواكب البانية ، وعددهم لا يحصى ، فانقسمت هذه الجواهر الابداعية المستقرة في هوية العقل ، لما تعين هناك الى قسمين ، فأخذ القسمين ، النير واردون الى عالم الكون والفساد وهم قسمان : أحدهما الملائكة العالون الذين يديرون العالم الروحاني والقسم الثاني وهم المقربون المكلفون [2] بتدبير العالم الجرماني ، والقسم الثالث وهم الواردون الى عالم الكون والفساد المتوليون تدبيره،و كان وصولهم اليه بعد سلوكهم العالم الروحاني،فأصبح مستقرهم والعالم الجرماني طريقهم، ثم انتهى الى عالم الكون والفساد فقرنوا به وبلوا بتدبيره ، فمنهم راجعاً قريباً ، ومنهم لابساً أحقاباً ، بمعنى قوله تعالى « إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [3] .

واعلم يا بني علمك الله الخير ان هذه النفوس الناطقة هي أشعة الجواهر الابداعية ، بتقدير الباري ووساطة الامر ، ثم ظهر عياناً بين العقل والنفس ، وهي الجواهر الابداعية المسماة نفوساً قاطمة محركة لجميع العوالم ، وانها لما اتصلت بهيا كل عالم الكون والفساد ، وهم

---

(١) قرآن كريم صورة آية

(٢) في (ب) متوليون

(٣) قرآن كريم سورة

المعدن ، والنبات ، والحيوان ، والانسان ، وسلكت أطوارها ودبرتها في جميع أحوالها ، من نموها وحسها ، وانتقالاتها ، وما أظهرت في في أفعالها بمعاونة روحانيات الكواكب التي هي انبجاسها ، فعندما ظهرت في كل مركز منها بما يليق بها (١) أقسمت في ذلك المركز مدة مقدرة لها ، فمنهم من يقيم مدة طويلة ، فهي تقطع المركز الى المركز الانساني في دهور طوال ، ومنهم من يقيم في كل مركز سنة مثلا ، أو شهر ، او جمعة ، او يوم ، أو ساعة ، وهذه في الآجال المقدرة لها في عالم الكون والفساد ، بالتقدير الاول ، ومنهم من تبطيء في معادها مثل بطئها في المراكز التي سلكتها عند ورودها ، فاعرف ذلك تعلمه إن شاء الله تعالى .

واعلم يا بني أن النامي والحساس ليسوا نفسان متحيزتان ، واسماهما قوتان من قوى تفعل بهما هذين الفعلين ، عاونت روحانيات الكواكب الناطقة التي هما ابناء جنسها ، ولهم تدبير عالم الكون والفساد بمساعدة القوى الواردة اليه ، إذ هم من جنس واحد ، وقد كانت هذه القوى الواردة من ذلك(٢) المركز فهي في كل مركز تديره وتسمي فيه باسم ما أظهرته فيه ، فهذه القوى من أصلها متواترة المورد (٣) والتدبير باقي

---

(١) في (ب) به
(٢) في (ب) هناك
(٣) في (آ) الوارد

مفارق المركز ، وقبيل قبيلا واصلا به ، يفعل فيه ما كان الاول يفعل ، وكلما انحطت هذه القوى من مركز عال الى مركز دونه أظلم عليها . ونقص فعلها فيه . وهي مدبرة بتدبير القوى التي فوقها، وهي مدبرة لمن دونها ، وكذلك الى مركز الارض الذي هو أشد ظلمانية من جميع المراكز . الاولى (١) مدبرة للقوى الهابطة منه الى المركز الذي بعده ومدبره للمركز الذي دونها ، وكذلك كل طبقة من هذه القوى مدبرة بتدبير القوى التي فوقها الى المركز المعدني فتكون بالعكس من ذلك ، وتكون القوة الصاعدة الى المعدن المفارقة لكرة الارض مدبرة (٢) للقوة الواصلة اليها (٣) أعني مركز الارض فتكون في الورود كل قوى واردة مدبرة بتدبير الواردة بعدها وفي حال صعود (٤) القوة الصاعدة تصبح مدبرة للقوة التي لا تستطيع الصعود لانها (٥) أشد ضياء من كونها في المعدن ، والمعدن أنقى (٦) جوهراً من الارض ، فالقوة الواصلة اليه تعتبر عائدة ، والعائدة بخلاف الواردة ، فالمعدن أصفى جوهر في الارض لأنه خلاصتها ، والقوة الواصلة اكثر تصرفاً من القوة التي في مركز الارض ، والقوة التي في النبات اكثر ضياء من القوة التي في المعدن ، والقوة التي في الحيوان اكثر تصرفاً من القوة

---

(١) في (ب) الاول
(٢) في (أ) مدبرة
(٣) في (ب) اليه
(٤) في (ب) الصعود
(٥) في (أ) إذ هي
(٦) في (ب) أصفى

التي في النبات ، لان الحيوان أشرف من النبات ، وأشد ضياء ونوراً ، والقوة المتصلة الى المركز الانساني أكثر تصرفاً من القوة التي في الحيوان لان هذه القوة المنتقلة (١) الى الانسان تكون قد جاوزت الصراط المعكوس ، وهو المعدن ، والصراط المنكوس وهو النبات ، والصراط المعوج ، وهو الحيوان ، وقد وصلت الى الصراط المستقيم ، الصورة الالفية ، فهذه القوة (٢) تعتبر (٣) أكثر تصرفاً في مركزها الجديد من المراكز التي عرجت عليها ، (المعدن ، والنبات والحيوان) وقد كانت مدبرة ومتصرفة في المراكز الثلاثة ، المتقدم ذكرها ، بمساعدة روحانيات الكواكب ، الذين هم ابناء جنسها ، وقد تقدم شرح هذا الكلام ، وهذه القوة الواصلة الى الهياكل الانسانية تسمى في العالم الروحاني ملائكة ، كما تقدم الكلام بذلك ، ثم وردت الى المركز الكوكبي فسميت فيه روحانية ، ثم عرجت (٤) على الاجرام الفلكية فسميت هناك طبيعية ، ثم وردت على الاركان الأربعة فسميت في الأثير نارية ، وفي الزمهرير هوائية ، وفي عنصر الماء مائية ، وفي مركز الارض نامية معدنية ، وفي النبات نباتية ، وفي الحيوان حسية ،

---

(١) في (ب) المتنقلة

(٢) في (ب) القوى

(٣) في (أ) هي

(٤) في (ب) وردت

وفي مركز الانسان ناطقة قدسية ، وفي هذا المركز تشرق عليها أنوار عالمها القدسية الالـهية السرمدية .

واعلم يا بني أن روحانيات الكواكب مدبرة العالم الكون والفساد ومساعدة ، للقوة الواردة اليه ، وللقوة الواصلة اليه مدبرة له بمساعدة روحانيات الكواكب ، لان قوة روحانيات الكواكب والقوة الواردة الى عالم الكون والفساد من جنس واحد وجوهر واحد ، وكل منهم يدير المركز الواصل اليه ، والدليل على ذلك ما تعلمه علماً يقيناً من تدبير روحانيات زحل في النطفة الواقعة في بطن الانثى من جميع الحيوانات الى مدة مقدرة بمساعدة روحانيات جميع الكواكب ، وكل كوكب منها هذا حاله في التدبير لمدة مقدرة بمساعدة الكل ، وليس التدبير منها للحيوان فقط بل لجميع موجودات عالم الكون والفساد بالاجماع ، من معدن ، ونبات ، وحيوان ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو سبحانه بذلك مخبراً بقوله تعالى « وفي المدبرات أمراً » (١) .

واعلم يا بني أن مراكز العالم من لدن الجسم المطلق الى الهيكل الانساني ، قوى مدبرات لهذه المراكز لا يحصي عددها إلا الله تعالى ، وهم جنود السموات والارض ، وهم القوة الالهية التي برزت الى عالم الوجود من مركز (٢) العقل الفعال بوساطة النفس الكلية .

---

(١) قرآن كريم صورة آية

(٢) في (أ) مراكز

واعلم يا بني أن هذه القوى أعيان غير متحيزة ، والمثال على (١) ذلك الاضواء المتداخلة ، فهي لا تقبل التميز لاحداهما عن الاخرى ، مع العلم بأن كل واحد منها قائم بذاته عيان ، وكذلك اننا نرى قوى الشمس والكواكب غير منفصلة عن أصلها والفعل(٢) منها في مراكز العالم مختلف ، وهي جوهر واحد غير منفصل ولا متحيز ، وهو عيناً ، لاننا نرى (٣) فعل زحل بخلاف فعل المريخ ، وفعل الشمس بخلاف فعل المريخ ، وفعل الشمس بخلاف فعل القمر ، وهما (٤) جوهر واحد ، لأن أفعالها نسبانية ، وجوهرها واحد ، لا يفسد فيها التحيز إلا بارتباطها بالمراكز الوجودية ، وكذلك هذه القوى المحركة لجميع العوالم المسماة في المركز الانساني نفوساً ناطقة ، هي غير مناسبة لأصلها (٥) الأبداعي ، ولو كانت مبينة له (٦) لكانت متحيزة ، والتحيز هو أن تحيط بالشيء جهات ستة : فوق ، وتحت ، ويميناً ، وشمالاً ، وقدام ، وخلف . والنفس الناطقة لا تذن بالتحيز ، واذا كانت غير متحيزة ، وكانت غير مباينة (٧) لأصلها وهي غير متحيزة ، فهي إذن غير متباينة ، وإن كانت غير متباينة ، فهي مدبرة للجميع واحد لا تباين فيه .

---

(١) في (ب) في
(٢) في (ب) والفصل
(٣) في (ب) نداه
(٤) في (ب) وهم
(٥) في (ب) كاصلها
(٦) في (أ) لأصلها
(٧) في (ب) مبانيه

الفصل الثالث

في معرفة هذه القوى الغريبة ، والجوهرة الوحيدة، الحادثة من عالمها الروحاني ، واتحادها بالعالم الجرماني، والعالم الجسماني

إن النفس الناطقة ، هي أشعة الجوهر المحرك لجميع العوالم ، وهى لم ترد الى العوالم الوجودية ، بعد أن فارقت العوالم الروحانية ، الا بعد زلتها وخطيئتها ، وقد تقدم الكلام عن شرح هذه الزلة بمشبع من الادلة (١) وان هذه القوة نقلت بسبب خطيئتها ، فهبطت من عالمها الروحاني ، فجاوزته هابطة من مركزها الى مركز أضيق منه ،حتى انتهت الى مركز الارض فسجنت فيه وهو الصراط المنكوس ، فأظلم فيه جوهرها وتناقص اشراقها ، وانحط قدرها ، وكان ذلك أقصى مدى عاياتها (٢) في هبوطها ، وهو عذابها جزاء بما تقدم لها من خطيئتها فعند ذلك رحمها خالقها سبحانه وتعالى ، وعطف عليها ابوها العقل الفعال بأنواره فجذبها ، ونقلها من مركز الارض الى مركز المعدن

---

(١) في (آ) من هذه الادلة

(٢) في (ب) غايتها

وهو الصراط المعكوس ، وهو أشرف من مراكز الارض ، وأكثر ضياء منه ، فاتحدت به مدة مقدرة ، فظهرت فيه ما وجب ان تظهر (١) ثم نقلت منه الى النبات ، وهو الصراط المنكوس،وهو اشراف جوهر من مركز المعدن ، والنبات وهو الصراط المعوج ، وأقامت فيه مدة مقدرة ، ثم نقلت منه الى النبأ العظيم والصراط المستقيم ، صورة الملائكة المقربين ، وهي هيئة آدم الكريم ، المجموع فيها صورة ما في السموات والارض وما بينهما أجمعين ، وهي صورة الفية ، وانموذجاً للبنية البشرية ، والقامة المنتصبة السوية الالفية ، فسرت هذه القوة الناطقة بأنوارها جزئيات هذه السورة الالفية ، وكان مركزها في(٢) أعلاها ، وهو الدماغ لما فيه من التهيء لسريان قواها فيه ، فسكنت في مقدم الدماغ قوة من قواها تسمى المتخيلة ، لتتخيل (٣) ما يرد عليها من المتخيلات ، واسكنت وسط الدماغ قوة اخرى من قواها تسمى الحافظة لتحفظ (٤) ما يرد عليها من المعلومات ، وأسكنت في مؤخرة الدماغ قوة (٥) اخرى تسمى الذاكرة لتذكر بها ما اندرس من محفوظاتها ، واسكنت بطن صدغها الايمن قوة من قواها سميت (٦) المفكرة لتفكيرها فيما تحتاج اليه ، واسكنت صدغها الايسر قوة من

(١) في (ب) وجب اظهاره (٢) في (ب) فيها
(٣) في (أ) تتخيل بها (٤) في (أ) لتحفظ بها
(٥) في (أ) قوة من قواها (٦) في (أ) تسمى

قواها تسمى المصورة ، لتتصور بها حقائق الاشياء في الدماغ ، ومن الصورة الألفية بما فيه التهيء لقبول آثار النفس الناطقة ، المهيأة[١] لقبول آثار النار ، فتثبتت النفس الناطقة قواها فيه لما يدر عليها من معلوماتها ولهذه القوة الناطقة في القلب قوة أخرى من قواها تسمى الحساسة، وفي هذه الصورة حواس ، منها [٢] العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والفم ، واليدان تفيد بها القوة الحساسة النفسانية التي مسكنها القلب جميع المحسوسات من خارج الذهن بالعينين ، المرأئيات [٣] والاذنيين المسموعات وبالمنخرين المشمومات ،وباليدين الملموسات ، وبالفم المذوقات وتوصلها جميعها الى القلب الذي هو مقرها ، ثم القوة الحساسة التي مسكنها القلب تتوجه بهذه المعلومات المتناولة من خارج الذهن الى القوة المستقرة في مركز [٤] الدماغ ، فتستعملها تلك القوى النفسانية التي في الدماغ وتوصلها الى النفس الناطقة التي هي قواها ، كما توصل الملائكة المقربين سكان عالم الأجرام أعمال أهل عالم الكون والفساد الى الملائكة المقربين سكان حضرة القدس،فيوصلوها بدورهم الى الجوهر الدارك الذي هو أصل الكل ، وبعد وصولها لى هذه القوة الناطقة المتحدة بالهيكل الانساني من قوتها الحساسة التي أودعت [٥] في القلب جميع ما تدركه من خارج الذهن بالحواس الخمس فيصل [٦] اليها ما أدركته بحاسة البصر من

---

(١) في (ب) بمنزلة المهيأة　　(٢) (آ) منهم

(٣) في (ب) المرسيات　　(٤) في (ب) مراكز

(٥) في (ب) أودعتها　　(٦) في (ب) فيوصل

غرائب المبصرات ، من الالوان والاشكال الحاصلة (١) على مسطوحات الأجسام ، وتوصل اليها ايضاً ما أدركته من غرائب الطعوم بحاسة الذوق عن طريق اللسان ، كما توصل اليها ما أدركته من الثقل والخفة ، والخشونة واليبوسة عن طريق حاسة اللمس المدركة لكميات الأجسام ، وحينئذ تخيل الناطقة ذلك كله بالقوة المتخيلة التي مسكنها في مقدمة (٢) الدماغ فتفكر فيه بالقوة المتخيلة ، فتحفظ صورته ، بواسطة القوة الحافظة ، وتتصوره عن طريق القوة المصورة ، ولما يتم اليها الهدايا من أبناء جنسها المؤيدون بروح القدس فيوصلوا اليها ما به خلاصها ، ويبلغوها ما أمر به خالقها ليجعلوا بذلك ما علق (٣) لجوهرها من دنس الطبيعة لتظهر بالأنوار الكامنة في جوهريتها بزوال الصدأ عن قلبها الذي اكتسبته في دار الطبيعة ، وتحمل التكليف الشرعي والناموس الألهي ، والحكم النبوي فاذا اقبلت (٤) وطاوعت ما امرها به ولي زمانها صفي جوهرها ، وعظم شرفها ، وسطع نورها ، فيذكرها ولي زمانها بمبدأها ، فتوفه ، ويدها على معادها ، لتكون به ، وتتأهب له حين ذلك ، ويأنوها بما كان اندرس من معلوماتها عن صور الموجودات . والمراكز التي تجاوزتها عند ورودها له ، ويذكرها بالميثاق المأخوذ عليها من عالمها ، وبالعهد المأخوذ عليها في هذا العالم ، فتقدم بشروطها ، فينشرها عند ذلك بعودتها الى عالمها الذي بدأت منه مع المهتدين . من أبناء جنسها ، مجردة من الهيكل الطبيعي

---

(١) في (ب) الحالة
(٢) في (آ) مقدم
(٣) في (ب) ما عاق
(٤) في (آ) هي قبلت

الدموي ، حاصلة على الالفي ، وان هي خالفت ما بأمرها به ولي زمانها ولم تقبل اوامره، ونواهيه ، كما امرها الله سبحانه على لسانه ، واتبعت هواها ، حق عليها القول ، وقامت عليها الحجة ، فترد الى أسفل سافلين الى السجن الابدي، والطبقة المظلمة المسماة النار ، أو الجحيم ، فتقيم فيها أحقاباً ويكون مثلها في ذلك مثل قطعة من حديد صلبة لم تقبل الصورة التي يريد أن يرسمها صانعها ،

قال الله سبحانه وتعالى تنبيها لذلك ، « ان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)[1]

فخلص يابني نفسك من موبقات الاعتقادات الفاسدة واجتهد لمعرفة غاية الغايات ، فتخلص نفسك من ذجرها، فتبقى ذات بلا ذوات ، ناظرة لمولاها لايدركها الزمان ، ولا تدخل تحت حوادث الايام ، قدسية ، إلاهية ، جوهرية ، كلية ، سرمدية ، أزلية ، فهذه يابني النفس الشريفة القدسية ، أشرف بيوتها الصورة الألفية ، فان صلحت هذه الصورة الالفية لهذه النفس الشريفة القدسية ، لاجل ما بينها من المناسبة السنية حلت النفس القدسية في الصورة [2] الالفية حلولاً بالذات ، لا حلولاً بالعرض ، لانها معشوقتها التي هبطت من عالمها لاجلها، وقد حلت في غيرها من المراكز التي تجاوزتها ، حلولاً بالعرض ، الذي عرض لها ، فاصبحت

(١) قرآن كريم صورة آية

(٢) في (ب) في هذه الصورة

سجون لها في حالة (١) تقصيرها كعقاب لها (٢) ولا تكون هذه الاحوال من السجون والعقاب الا عند نسخ الشريعة التي نقلت في أوانها ، فكل من هاتين النفسين ، ناظرة لما عد لها من العذاب ، وهو عذاب أدنى وثواب ، وهو ثواباً أدنى، قال الله تعالى «ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم »(٣) فاذا نسخت الشريعة لحقت مثابة بعالمها واذا انعكست ، طالبة الى اسفل سافلين مع امثالها من المردة والشياطين ،

الفصل الاول

أما معرفة ذات النفس الناطقة ، وماهية جواهرها ،

فان النفس الناطقة قوة ابداعية ، ونور شفاف ليس له أو عنه ابداعية شكل وانما شكله في هوية العقل كالغذاء الذي يصبح نطفاً في اصلاب الرجال بعد ان كان شكلاً (وقد تقدم الكلام عن ذلك بمزيد من البرهان فاغنى عن اعادته) وهو نور محيط بالوجود ، أحاطة الكشف ، لاحاطة الطرف ، وذلك قبل الورود وعنه المعاد ، والدليل على ذلك أن الانوار المتداخلة تعقل أعياناً ، وهي غير متحيزة باشكالها ، وكلما لطف جوهره لم يسكن له شكل ولاصورة ، انظر مثلاً الى النار ، فهي طبيعة الجنس

---

(١) في (آ) عند

(٢) في (ب) ويكون ذلك عقاباً لها

(٣) قرآن كريم صورة آية

وعندما كان عنصرها شفاف لم يكن لها صورة الهيولي ، التي هي متحدة به بالنفس الناطقة ، والنفس الناطقة لما كانت نوراً شفاف لطيف ، لم يكن لها شكلاً مخطوط ، بل تتصور بعد التجريد ، بأي صورة نشأت انظر الى الملائكة ، لما كانت ارواح مشعة شفافة ، لم يكن لها شكل بل تتصور بأي صورة شاءت ، ولم يكن في الصور أحسن من الصورة الالفية الانسانية لأن أكثر الملائكة تصوروا بها ، وكذلك القوى (١) النفسانية بعد تجريدها من دار الحسن تصورت (٢) بالصورة الالفية والمادة الالهية ، فحملتها إلى المركز الابداعي وهو السابق ، واتصلت (٣) المادة الالهية بجملتها فيه (٤) وبأشعته ، وقد وصل الامداد الى السابق من الامر ووصل الى التالي بواسطة السابق ، ثم المركز الثاني وهو التالي وخاصته (٥) التهيء لقبول الاستمرار من تلك الاشعة ، المشعة من العالم الجرماني ، وللافلاك والكواكب ميزة خاصة وهي قبول تركيب واشعة التالي ، وهم الملائكة المقربون الموصلون الامداد من السابق الى العالم الروحاني بواسطة التالي ، وفي العالم الجرماني خاصة تكوين

---

(١) في (ب) القوة

(٢) في (ب) أكثر تصورهم

(٣) في (آ) واتصال

(٤) في (آ) اليه

(٥) في (ب) وخصوصيته

الاستقصات الاربعة التي هي ، النار ،والهواء ، والماء، والارض ، واشمة الكواكب ، وهم الملائكة الكروبون ، الواصلون ، امداد التالي بالاركان بواسطة الاجرام الفلكية ، وفي هذه الاركان الاربعة خاصة قبول الانفصال بتوالد (١) المعدن، والنبات ، والحيوان وأشمة الاجرام الفلكية ، فيربطون الامداد بالمتولدات بواسطة الطبائع الاربعة ، وأشمة الاثير وهي مركز النار ، وهم ملوك الجن في عالم الكون والفساد ، يطلقون روحانياته فيما يجب و يراد ، فالطبائع منهم تسمى جن وعفاريت ، ويسمى العاصي منهم شيطان متمرد فتان الذي منه بنيت النيران ، وهؤلاء (٣) سكان عالم الكون والفساد قبل توالد المعدن ، والنبات ، والحيوان الانسان ، ولهم خاصة قبول الكون والفساد وهم خاصة ينفردون بها عن غيرهم عندما يظهر في المعدن الاحجار ، الذي منها ما هو نافع ومنها ما هو ضار ، ومنها أحجار مؤتلفة ، وأحجار مختلفة ، ومن النبات أيضاً ماهو متفق ، وما هو مختلف ، ومن الحيوان أيضا ماهو متحاب ، وما هو متباغض ، ومنهم ما هو داخل تحت طاعة الانسان ومنهم ماهو نافر منه ، عدو له على طول الزمان ، وايضاً في هذه المتولدات منافع ومضار ، تخرج عن الحد والانحصار ، فلا تظهر أسرارها لصاحب

---

(١) في (ب) بتوليد

(٢) في (آ) واصلون

(٣) في (ب) وهم

التمام والكمال ، الذي هو الانسان ، فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوان انسان عاقل ، وكل عالم عاقل ، وليس كل عاقل عالم ، وكل مؤيد عالم وليس كل عالم مؤيد ، وكل نبي مؤيد ، وليس كل مويد نبي ، وكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسول ، وكل إمام رسول ، لأن الامام حائز الرتب ، فهو إمام ورسول ونبي ، مصطفى مؤيد ، عالم عاقل ، انسان كامل.

واذا كان هذا الانسان حاصل على صورة التمام والكمال بحصول هذه الأحوال وكانت صورته الالفية ، هي نهاية العوالم الوجودية ، الابداعية والاختراعية ، والجرمانية ، والمركبات الحيوانية ، وهي نهاية الادارة الألهية حق له أن يكون مقر الكلمة الكينونية ، فيستوي مبيناً لنا المراكز الوجودية وعندئذ لم يبقى لقائل فيه مقال .

●○●

المبحث الرابع

في معرفة الامام المقصود . الحادللحدود الظاهر الموجود ؛

محركات النفس الروحانية :

إن محركات النفس الروحانية هي النفوس النـاطقة القدسية ، والجواهر الابداعية ، التي يكون سريانها في هذه المراكز الوجودية بادرة إلهية ، وقدرة سماوية ، فنقول في ذلك والقول لولي النعمة ،وفاتح أبواب الرحمة ،

ان الباري سبحانه وتعالي أبدع الوجود فيضاً واحداً غير متعين ، ثم تعين في هوية العقل الفعال كتنوع الحليب الوارد من الضرع بعـد أن كان نوعاً واحداً ، أصبح منه الزبدة ، والسمن واللبن ، واصنـافاً أخرى لاتشبه بعضها البعض بينما أصلها واحد ، وكذلك ابدع الباري شيئاً واحداً في هوية العقل ثم تصنف وتنوع منه حتى اصبح ثلاثة أجناس ، منها ماهو روحاني ، وهو الجوهر الفرد الابداعي وقد جعله قسمين الاول هو السابق وجواهره افرادوالثاني وهو التالي وجواهره أزواج ، ومنها ماهو جرماني مركب من جواهر التالي الازواج ، ومنها

عالم جسماني ركب من جواهر العالم الجرماني التي هي الطبائع الاربعة ، ومن ثم سرت جواهر السابق الافراد وهي القوة الابداعية في المركبات المنبعثة من جواهر التالي الازواج ، وقد تقدم الكلام عنها في البحث الثاني المنطوي على شرح مبتدأ العوالم .

ومبدأ هذه القوة الابداعية ومعادها ، وماهيتها وكيفيتها وكميتها وانسانيتها انها سارت الجواهر الافراد الابداعية الى المركبات الجرمانية والجسمانية ، وقد سلكت هذه القوة القريبة والجوهرة الوحيدة في أطوار العالمين الجرماني والجسماني ، فدبرتها واظهرت في كل مركز منها ماينبغي ظهوره فيه باسم ما اظهرته ، ولم تزل تطوف سالكة في هذه المركبات حتى وصلت الى الصورة الالفية المتقدم ذكرها ، فكان بذلك نهايتها وهناك اتصلت بها أشعة عالم الدين ،

وهنا لابد لنا من ذكر عالم الدين والتعرض لترتيبه ، فنقول في ذلك والقول لولي النعمة ، وفاتح ابواب الرحمة :

ان لعالم الدين مراكز دينية كما ان لعالم الخلق مراكز وجودية بالموازنة والسوية ، وكما ان المراكز الوجودية اسرار خفية ، المراكز الدينية ايضاً معاني حقيقية ، وعلمية عقلية ، بها تعود الانفس الذكية الى ربها ومقرها الابداعي راضية مرضية ،

والمقصود من الكلمة الابداعية ، كلمة كن التي هي حرفان الكاف والنون تفرع منها فرعان وهما عالم الخلق وعالم الدين ، واختصا بعلمان ، علم التنزيل وعلم التأويل ، فعلم التنزيل يقصد منه شرح أحوال الخلق ،

أما علم التأويل فيقصد منه شرح حقائق وخفايا عالم الدين ،

قال الرسول (ﷺ) « الصدق ثمرة الدين نطقه ، ان الله اسس دينه على مثال خلقه »

وبيان ذلك ان اول الوجود هو العالم الروحاني وملائكته وهم العالون ومقره السابق الذي يقابله في عالم الدين علم التوحيد وملائكته اللواحق العالون في رتبة الدين الذي مقرهم في حضرة الامام الحاد للحدود الظاهر للوجود. وثاني مرتبة الوجود في حضرة التالي وملائكته هم المقربون ، ومقر التالي هو اللوح المحفوظ الذي يقابله في عالم الدين حجة الامام العظيم القابل لمواده والقائم بمقامه من بعده وملائكته هم الحدود الذين قبلوا مواده وهم أقرب الخلق اليه ، وهو مقرهم وجامع شملهم،

وثالث الوجود العالم الجرماني وملائكته هم الكروبيون ومقرهم في فلك المحيط الذي يقابله في عالم الدين علم الظاهر الحقيقي وملائكته انسيون متفقهون في علم التنزيل ، ورابع الوجود الطبائع الذين هم الاركان الاربعة وأولهم الاثير وهو الاستقص الناري وملائكته جنيون ويقابله في عالم الدين المأذونون الذين اجتنبوا علوم التأويل ، وخامس الوجود المتولدات الثلاثه وهم المعدن والنبات والحيوان الذي نهايته الانسان ، ويقابلهم في عالم الدين ، المعدن الذي هو مثل المؤمنين المعاهدين الذين خلصوا من اهل الخلاف ، والنبات مثل المأذونين الذين نبتت في نفوسهم الصور الدينية ، والحيوان مثل الدعاة الاحياء المختصين بعلم الحقيقة ، والانسان مثل الحجج الذين استقامت صورهم الدينية ففارقوا الحيوانية

وتصوروا بالصورة الملكوتية ، ونهايتهم الى اصحاب الادوار الذين هم بمركز الملائكة المتصلون بالوصي من رب العالمين ، واولهم أدم عليه السلام الذي صورته الالفية المقدمذكرها نهاية العوالم التركيبية ، وقد اتحدت بها نفسه القدسية والجوهرة الوحيدة الابداعية ، فحصل على صورة التمام فكان إماماً قوياً ،

لان الامام هو الانسان الكامل التام ، لانه كامل بجسمه الاكمل لانه اول الفكر وآخر العمل . اتصلت بنفسه القدسية من امام دور تشرك به سواه ، فمن جعل لله في الارض ثاني فقد أشرك وكفر وقال مولانا جعفر الصادق عليه السلام (ظاهرنا إمامة وباطننا غيباً لايدرك) واما قوله (ﷺ) انه نحن لنافي المسألة سبعين وجه ، ولو زاد السائل لزدناه ، وهذا الغيب هو سر الربوبية اللامع في المشكاة الذي لايعلم كنه منتهاها الا باري البرايا ، وصانع المصنوعات ، واحد الوجود ، ومعل العلل ، لقديم الاذل ، المجهول الذات . العزيز الصفات ، الذي عجزت العقول عن كنه ادراك كيفيته ، وتحيرت الاوهام عن تصاريف اموره ومشيئته وهوسبحانه محيط بكلية الاشياء من غير مخالطة ، ولاممازجة، والغرض المقصودمن العدم الى الوجود ، دفعة واحدة بلا فكر تقدمه،

والنفس الكلية هي نتيجة العقل ، وهي الجوهر الثاني والوجود الفعال في جميع العوالم ، وهي روح القدس ، كما قال تعالى « يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيت من العلم الا قليلاً » وقوله نزل به الروح الأمين ، معناه يده اليمنى ، والسموات والارض مطوية

بيمينه وهي ملك عظيم ، وهو رضوان خازن الجنان ، فعالم الروحانيين يد الله فوق أيديهم ، والطبيعة الكلية جواهر وأزواج ثنائية منها تركبت الافلاك والكواكب ، والاركان الأربعة والمتولدات الثلاثة من أشعة التالي ، وهو ملك عظيم له جنود كثيرة في عالم الكون والفساد وهم روحانيات النفس الكلية، وهم قوة جوهرية ثنائية تركبت منها أجسام العالمين الجرماني والجسماني ، من الجسم المطلق الى الجسم الانساني ، فالجرماني من ترتيب الامر بواسطة السابق الجسماني من ترتيب السابق بواسطة التالي ومعاونة روحانيات الكواكب الذين هم اشعة السابق وهو الجنس المحرك لجميع الخلائق ، وهي الجواهر الافرادية الابداعية المسماة نفوساً جزئية ، واما الطبيعة الكلية ، وهي روح القدس التي من خصالها ، اعطاء النفوس لطائف الصور السارية ، في أطوارها ،

وهذه المراكز الموروده هي المعادن ، والحيوان والمقوى الواردة اليها هم الجواهر الافراد التي تحرك العالمين الجرماني والجسماني ، وهذه الطبيعة جنودها المعدن والنبات والحيوان وتسمى ملكوت المكنونات ، ومعنى ذلك منها تركب المعدن والنبات والحيوان ، وهي يد الله المكونة لعالم الكون والفساد، وتسمي الملك الغضبان خازن النيران ، قالوا يامالك ليقضي علينا ربك ، قال انكم ما كثون فيها ، يدان مبسوطتان في العالمين الروحاني والجسماني ، فيد الله اليمنى النفس الكلية في العالم الروحاني وهو رضوان خازن الجنان، واليد الاخرى الطبيعة التركيبية المنبعثة من النفس الكلية التي منها صور المركبات الجرمانية والجسمانية على المراتب الموضوعة وحفظ نظام خواص الطبيعة ،

ثم سرت هذه المكنونات التركيبية في الجواهر الافرادية الابداعية فحركتها ودبرتها واسكنتها مدة مقدرة لها ثم فارقتها راجعة الى أسفل سافلين لخلافها لامام عصرها وزمانها ، أو صاعدة الى أعلى علـيين . بموافقتها له والدخول تحت امره ونهيه ،

ولما كانت هذه الجواهر الابداعية الناطقة القدسية واردة من الكلمة العلية الى مقر الاجسام الظلمانية حال بينها وبين مقر الوحدانية كثرة الحجب التي تراكمت عليها فاظلمت وصدأ جوهرها ونورها ، فجهلت ذاتها واندرست معلوماتها . فنسيت مقرها الذي وردت منه ، ولذا انتبهت من نوم غفلتها ، وفاقت من سكرة عمايتها فقصدت إمام عصرها وزمانهـا وعالم قدسها الذي اتحدت به مواد الكلمة الالهية ، وهي كمال الصورة الدينية فحاز على جميع انوار الفضائل ، وصار انساناً كاملاً ولما اندار نطقه اندار السابق فاتحد التام الكامل الوجودي بالتام الديني فصار شيئاً واحداً تاماً ،فقال له ربه « اني جاعلك للناس إماماً » والرب هاهنا هو الامام الحقيقي ، وهو الشخص الفاضل القائم لحجته بكمال الصفات الربوبية،وهي ظهوراً وأشعة الامر من اللاهوت ، وهي الامانة الوجودية والدينية المعروضة على السموات والارض والجبال فلم يستطع احد حملها لنقصه وعجزه في صورته الوجودية والدينية ، ولما كان هذا الانسان الفاضل حائز على الكمال ومستوفي من صورة الخلق والدين التام عمل ماعجزت كافة الموجودات عن حملها ، اذن هو اكمل الخليقة وهو الامام بالحقيقة ، وجوهر نفسه القدسية ، الحاملة لاسرار الربوبية ، التي هي الامامة المرضية ، والامر هو السر المحمول في لاهوتها ،

المبحث الخامس

في معرفة الانسان لطيفه ، من كثيفه ؟

قال الرسول ﷺ :

المنافع حية من عرف نفسه عرف ربه ، وبان له الرشد من الغي ، لقوله من عرف نفسه عرف بها كل شيء ، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علينا منه السلام :

« أعرفكم بجسمه آعرفكم بنفسه ، ومن عرف جسمه عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه نجى ، ومن جهل جسمه جهل نفسه ، ومن جهل نفسه ، جهل ربه ، ومن جهل ربه ضل عن الهدى وهوى »

واذا كان ذلك فلنبدأ أولا بالكلام من معرفة الجسم وما يدخل تحت النقطة من الاجسام المشتقة العالية ، والاجسام الكثيفة الذاتية ، وهي كلها عشرة أجسام :أولها الجسم المطلق وما تركب عنه من الافلاك وهو جسم ثان والكواكب وهي جسم ثالث ، والامهات النارية جسم رابع

والهواء جسم خامس والماء جسم سادس والأرض جسم سابع،وما تولد من هذه الامهات الاربع المعدن جسم ثامن والنبات جسم تاسع والحيوان جسم عاشر .

وهذه العشرة أجسام متولدة من بعضها ، وأبين لك ذلك بهذا المثال وهو أول ماأبدع سبحانه وتعالى العقل فكان بمنزلة النقطة من صناعة الهندسة ، والنقطة شيء لا آخر له ، ثم النفس الكلية وهي بمنزلة الخط اللازم عن النقطة ، وهو أول طول لاعرض له ، ثم الهيولى فكان بمنزلة السطح ذي الطول والعرض لاعمق له،ثم الجسم ذو الطول والعرض والعمق وعليه ظهرت الاجسام العالية الفلكية والكوكبية النيرة المضيئة . ثم الامهات الاربعة وهي النار

والهواء والماء والتراب ، وانه لما تحرك الفلك المحيط الكلي الكائن عن الجسم المطلق الحركة الاولى الكلية ظهر عن تلك الحركة حرارة فكان عن تلك الحرارة يبوسة فتركب عن تلك الحرارة واليبوسة عنصر النار وهو غليان أجزاء الهيولي الكلية، ثم فاض ذلك وبعد عن مركزه الذي هو الكرة الفلكية فلان طرفه الاخر فكان ذلك هو الهواء ،ثم تموجت أجزاء الهيولى الفلكية فتولد من الحرارة والرطوبة ، فاجتمعت صورة النار في الحرارة لانها نتيجتها « الا ترى أن الهواء حار رطب » وصورة بالرطوبة لأنها صفته، ثم كثرت تلك الرطوبة فبرد طرفها الاخر وفاض في الوجود فكان من ذلك عنصر الماء البارد الرطب وهو سيلان أجزاء الهيول الفلكية ومركب من جوهريته،ثم كثرت تلك البرودة فجمدت

وتكلست ويبست فكانت من ذلك عنصر الأرض البارد اليابس وهو مركب من جوهرين ، ثم اتصلت العناصر الأربعة واستمال بعضها الى بعض بالاطراف وصارت دائرة مستديرة فاتصلت النار بالهواء من حيث الحرارة ، واتصل الهواء بالماء من حيث الرطوبة ، لأن الهواء حار رطب بارد وحار واتصل الماء بالارض من حيث البرودة لان الماء بارد وحار والارض باردة يابسة ، واتصلت الارض بالنار من حيث اليبوسة ، والارض باردة يابسة والنار حارة يابسة فتكونت هذه العناصر الاربعة والدائرة المستديرة العنصرية بالحركة يستمد بعضها من بعض ثم امتزجت هذه الدائرة العنصرية بالحركة الكلية فظهر عنها زبدة معدنية ، ثم ظهرت زبدة ثانية فتولد منها جسم نباتي ثم ظهرت زبدة ثالثة فتولد منها جسم حيواني ، ثم كان منها الجسم وذلك أن الانسان يشارك الحيوان في الجسمية ، ويشرف عليه بتخاليط الألفية .

واعلم يابني ان صورة الهياكل الجسمانية أربعة أجسام ، لكل منها أمراً عجيباً واحوال غريبة ، فأحد هذه الاجسام جسم المكان ، وهو المعدن وينقسم الى تسعة عشر نوعاً وله رتب أربعة وسيأتي بيانها فيما بعد إن شاء الله ، والثاني جسم بارز في المكان وهو النبات وانواعه شتى لاتكاد أن تحصى وله رتب أربعة وسيأتي بيانها بعد ذلك إن شاء الله ، ثم الثالث جسم متحرك في المكان وهو الحيوان وانواعه شتى لاتكاد ان تحصى وله رتب أربعة سيأتي بيانها إن شاء الله .

والرابع جسم الانسان المتصرف في جميع ماتقدم من المعدن والنبات

والحيوان ويحيط بهذه الاجسام أربعة هي المدبرة لها والمتمة والمكملة ، وهي جسم طبيعي عنصري وجسم مشتق فلكي ، وجسم نير كوكبي ، وجسم مطلق علوي، وهذه الأحوال الأربعة الجسمانية المتقدم ذكرها في أول القضية ، واذا تكمل ماأردناه من ذكر هذه الهياكل الجسمانية ، فلنذكر الآن مايحتويه كل هيكل منها من العجائب الغريبة والاسرار العجيبة ، وذلك أن المعدن وهو أولها جنس ذو تسعة عشر نوعاً ، أولها معدن الطفل ، والثاني المغرة ، الثالث الكوان ، الرابع الجص ، الخامس الصوان ، السادس الرخام، السابع الاسرب ، الثامن الكبريت ، التاسع الملح ، العاشر الكحل ، الحادي عشر الشب ، الثاني عشر الحديد ، الثالث عشر النحاس ، الرابع عشر الرصاص ، الخامس عشر القصدير ، السادس عشر الفضة، السابع عشر الذهب، الثامن عشر العقيق ، التاسع عشر الياقوت ، وهذه المراتب المعدنية تنقسم على اربعة أقسام وهي : ان منها مايذوب ويحترق وهو الرصاص والقصدير وما شاكل ذلك ، ومنها مايذوب ولا يحترق وهو الياقوت الاحمر الذي ليس للنار عليه سلطان ، ومنه مايذوب ولا يحترق وهو الذهب الابريز ، ومنه مايحترق ولا يذوب وهو الكبريت ،

ولما كانت معادن الارض تسعة عشر نوعاً كانت مراكز الأرض تسعة عشر مركزاً وهي سبعة أقاليم واثني عشر جزيرة ، كانت لكل مركز منها نوعاً من معادنها لايوجد الا فيها ذلك تقدير العزيز العليم وقد لزم من ذلك أن تكون أرض الدين مثل ذلك وهو الحدود السبعة

والاثنا عشر المبثوثون في الاقاليم السبعة والجزائر الاثنا عشر لكل اقليم منها حد من هذه الحدود يسوس أهله، ولكل جزيرة حد يسوس أهلها ، ولهذه الحدود أيضاً أحوال أربعة مطابقة لرتب المعادن الاربعة المقدم ذكرها ، وذلك أن من هذه الحدود من يحتاج أن يفيد أهل جزيرته الظاهر والباطن فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي لا يذوب ويحترق ، ومنهم من يكون أهل جزيرته مهذبين في الظاهر فهو يفيدهم في علمه للباطن فقط فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي يذوب ولا يحترق ومن هذه الحدود من يفيد أهل علمه الظاهر فقط لأجل أنهم مبتدأوون لايستطيعون حمل الباطن فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي يحترق ولا يذوب ومن هذه الحدود من يكون أهل علمه مهذبين في الظاهر والباطن فهو كلما فاتحهم في شيء من العلم وجده عندهم فهو يذاكرهم مذاكرة للافادة فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي لا يذوب ولا يحترق وهو الياقوت الاحمر الذي ليس للنار عليه سلطان .

واما النبات وهو المولود الثاني وانواعه شتى لا تكاد أن تحصى فله أيضاً رتب أربعة ، من هذا النبات مايزرع ويسقى ويحصد وهو سائر الحبوب ، وفي عالم الدين يكون بمنزلة من أخذ عليه العهد ولقن العلم فهو منزلة السقي وأفاد غيره فكان بمنزلة شجرة مطعمة وكسرها ينقلب فكان ذلك بمنزلة الحصد ، ومن النبات مالا يزرع ولا يسقى ولا يطعم وهذا النبات ينبت في رؤوس الجبال وذلك بمنزلة الجاهل الذي لم يدخل تحت بيعة الامام فهو بمنزلة زرع لم يزرع ولم يسمع شيء من

العلم فكان نبات يسقى ولم يكسر فيكون ذلك له بمنزلة الحصد ، ومن النبات ما يزرع ويسقي ولا يطعم ولا يحصد مثل الصفصاف والأثل وما شاكل ذلك فهو في عالم الدين بمنزلة من أخذ عليه العهد وهو بمنزلة الزرع ، وسمع العلم فكان بمنزلة السقي ولم يفيد أحداً فكان شجرة لم تطعم ولم تكسر ، فيكون كأنه شجرة حصدت ، ومن النبات مايزرع ويسقى ويطعم ولا يحصد . وهو النخل وسائر الأشجار المثمرة وهم في عالم الدين بمنزلة الحدود الكبار الذين تقلدوا عهد الامام ، فكان لهم ذلك بمنزلة الشجرة المثمرة ولم يمتحن بكسر ، فيكون ذلك لهم بمنزلة الحصد ، ومن النبات مالا يزرع ولا يسقي ولا يطعم ولا يحصد وهو العشب في البراري برسم الرعي وهو في عالم الدين بمنزلة من يؤخذ عليه عهد الامام الذي هو بمنزلة الزرع فكان هذا بمنزلة شجرة لم تزرع ولم تسمع العلم فكانت لم تسقى ولم تفيد غيره ، كانه شجرة لم تطعم ، وكلما وقع به حد من حدود الدين كسرت ، فكان نبات لم يزل يحصد

والحيوان المولود الثالث ، له أربع رتب ، وهي السابح والطائر والمكبوب والمنتصب فالطائر يقسم على قسمين ، محمود ومذموم منه كل ذي ناب ومخلاب ومثالهم في عالم الدين مثل الاضداد والمتقبلين ، والمحمود منه مالم يكن له ناب ولا مخلاب ومثلهم في عالم الدين مثل الاولياء الداخلين تحت أمر صاحب الزمان والسابح من هذه الانواع الحيوانية ينقسم أيضاً الى قسمين : محمود ومذموم فالمحمود من كان له قشر ومثله

في عالم الدين مثل الولي العامل في الظاهر والباطن والمذموم منه مالم يكن له قشر وهو ينقسم الى قسمين ، كاسر وغير كاسر ، اماالكاسر مثله في عالم الدين مثل فراعنة الأزمنة وشياطين الأدوار الذين هم منتصبين لغواية الخلق ، وينصبون نفوسهم أئمة ، ويجعلون الائمة آلهة فتعالى الله عما يشركون مثل نصير في عهد علي وفي زمن مولانا جعفر الصادق ومن يجري مجراهم في مختلف الازمنة والاعصار المحللون لما حرم الدين المحمدي ، التاركون ما أمر به الله ورسوله وأئمة دينه من فرائض الدين ، القاطعون ماأمر به الله ان يوصل ، ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون .

والغير كواسر من هذا النوع المذموم وهم كل من ليس له قشر ومثلهم فيعالم الدين التابعينلهؤلاء الشياطين المتقدم ذكرهم ، والمكبوب من الحيوان من محمود ومذموم ، فالمحمود منه من هذا النوع ما كان داخل تحت طاعة الانسان ومثاله في عالم الدين مثل الداخلين تحت تكليف أصحاب الادوار ، والمذموم من هذه الانواع ما لم يدخل تحت تكليف الانسان وهم الوحوش البشمة الكاسرة ومثالهم في عالم الدين مثل الطغاة المتغلبين الذين لم يدخلوا تحت طاعة أصحاب الشرائع والمنتصب من الحيوان منه محمود ومذموم ، فالمحمود من هذا النوع منهم الاخيار ومثالهم في عالم الدين مثل أولياء الله المنتصبين لهداية الخلق ، والمذموم من هذا النوع هم الاشرار والفجار ومثالهم في عالم

الدين مثل أعداء الله المنتصبين لغواية الخلق في كل حين .

وهكذا تم الكلام عن معرفة الهيا كل الجسمانية الذي في معرفتها الترقي الى معرفة القوى النفسانية ، كما قال أمير المؤمنين علي « من عرف جسمه عرف نفسه » .

● ○ ●

المبحث السادس

بيان الكيفية ومعرفة الأمانة المعروضة على السموات والارض :

الكيفية هي معرفة صبغة الوجود ، ومعرفة العوالم التي هو عليها ، والكيفية بدورها تنقسم على قسمين ، كيفية داخل الجسم ، وكيفية خارجه ،

اما الكيفية التي تكون داخل الجسم فهي على اربعة اقسام وتسمى الاخلاط الاربعة ، الصفراء ، والسوداء ، والبلغم ، والدم ، وقوامهم المزاجات الاربعة : الحرارة ، والرطوبة ، والبرودة ، واليبوسة ، ولهم قوة فعلية : الفكر ، والهمة ، والتمييز ، والحفظ .

اما الكيفية التي هي خارج الجسم فهي ادراك المبصرات الواقعة على سطح الاجسام وتنقسم انواعاً منها : الانوار ، والظلمة ، ومنها الالوان وهى ، السواد ، والبياض والصفرة ، والحمرة والخضرة ، وما يتركب ويتولد عنها من سائر الالوان ، ومن المبصرات ايضاً ، المقادير والابعاد ، والاشكال ، والصور ، والحركات ، والسكون ،

اعلم يابني ان البلغم اصله من الماء ، والسوداء أصلها من طبائع الارض

وقد اشترك مع الطبائع الاربعة الكواكب السبعة ، والافلاك الاثنا عشر ، فهي مدبرة العالم ،

انظر يابني الى الانسان الذي هوالعالم الصغير ، الذي قال عنه المجد أنه العالم الكبير لانه مجموع فيه جميع مافي عالم الافلاك مثل ذحل والمشتري وكل واحد منهم له طبيعة تختص به مقرون بها وسائر الكواكب على هذا الشكل . والافلاك تسعة طبقات تحيط بعضها ببعض ، يقابلها في بدن الانسان تسع جواهر بعضها فوق بعض، وهي ، المخ ، والعظام ،والعصب والعروق ، والدم ، واللحم ، والجلد ، والشعر والصفرة ، وفي الفلك الواحد اثنا عشر برجاً تطابقها في الجسد اثنا عشر ثقباً وهي :

العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والثديان ، والسبيلان ، والفم ، والسرة ،فالعينان مناسبتان لبيتي المشتري في الفلك ، والاذنان مناسبتان لبيتي عطارد ، والمنخران مناسبتان لبيتي المريخ ، والثديان مناسبتان لبيت زهرة ، والسبيلان مناسبتان لبيتي زحل، والفم مناسب لبيت الشمس والسرة مناسبة لبيت القمر لانها باب الغذاء في الرحم والفم باب الغذاء في الدنيا ، وليس لهذه في الافلاك مثل الشمس والقمر ، وكذلك في الحروق مثل العينان ،

ولذلك قال النبي« طوبى لمن حفظ الرأس وماحوى ، والبطن وماوعى وذكر القبر والبلى ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا ، يعني بذلك الحجة الذي هو رأس دعوة الحق وماحوى أراد بذلك السبعة أئمة ولده ، وقوله البطن وما وعى أراد به أن في البطن اثنا عشر قطعة ، دليلاً على اثنا عشر

حجة الذين هم في جزائر الارض وهم في الدنيا مشهورين ، وقوله ذكر القبر ، يعني الفهم ، لان المؤمن العارف مقبور في الفهم والعلوم .

ولما كانت الابراج ستة منها قبلية ، وستة شمالية ، كذلك قسمت الثقب ستة في الجانب الايمن ، وستة في الجانب الايسر ، ولما كان في الكواكب سبعة سيارة ، كذلك وجد في الجسد سبع قوي فعالة روحانية وهي : الجاذبة ، والماسكة والهاضمة والدافعة ، والفاذية ، والنامية ، والمصورة ، وهذه الكواكب ذات أفعال روحانية وهي الناظرة (١)، والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة .

فخمسة منها تشبه (٢) الكواكب الجارية بالسماء ، واما القوى الناطقة التي هي مع بنى آدم مناسبة (٣) للقمر ، والقوى العاقلة بمنزلة الشمس ،ولكل كوكب منها بيتان في الفلك ، وكذلك الحواس الخمسة لكل واحد منها مجريات أيمن وأيسر كبيت كل واحد من الكواكب الخمسة الذي أحدهما في حيز القمر والآخر في حيز الشمس ، فالقوة الناظرة مجراها العينان ، والقوة السامعة مجراها الأذنان ، والقوة الشامة مجراها المنخران ، والقوة الذائقة مجراها اللسان ، والقوة اللامسة في اليدين ، والفم في الجانب الايمن أشبه ، والفرج بالجانب الأيسر أشبه ، والقوة الناطقة مجراها الحلقوم إلى اللسان، والقوة العاقلة مجراها وسط الدماغ

(١) في (ب) الباصرة
(٢) في (آ) تناسب
(٣) في (آ) بمنزلة

ونسبة القوة الناطقة الى العاقلة كنسبة القمر الى الشمس ، فالقمر يأخذ نوره بجريانه من الشمس من ثمانية وعشرون منزلة ، وكذلك القوة الناطقة تعبر عن معاني المعقولات والمعلومات بثمانية وعشرون حرفاً من حروف ألف باء ،

وفي الفلك عقدتان مظلمتان. هما الرأس والذنب، وبهم نحوس الفلك وسعوده ، يقابلها في الجسم الصحة والمرض ، وبهم صلاح البدن الانساني أو فساده ، وآخر ما يكون سوء المزاج على القوة الناطقة ، والكون على القوة العاقلة ، لانها تحجب عنها الانوار ، وكذلك أضر مايكون من القوة الناطقة سوء المزاج لأنه يعوقها عن أفعالها ، وتحت فلك القمر الاركان الاربعة :الهواء ، والماء ،والنار والتراب ، التي بها قوام المواليد الثلاثة ، المعدن ،والنبات ، والحيوان . ونظيرها في البدن أربعة أعضاء هي تمام جملة الانسان، الرأس ، الصدر ، البطن ، ثم عانته الى قدميه .

فالرأس بمنزلة ركن النار من جهة شعاعات بصره ودقة حواسه ، واما صدر الانسان فهو كبيت ركن الهواء من جهة استنشاقه الهواء وتردده فيه ، مرة الي داخل ومرة الى خارج ، ومرة يسكن ومرة يتحرك ، وبطن الانسان يشبه الماء لأن فيه الرطوبة المائعة ، ومن عانته إلى قدميه شبيه بالارض لما فيه من العظام اليابسة الجامدة ، والمخ فيه مخفي مكامن ، كالمعادن في الارض ، واستقرار الاركان الثلاثة عليها ، كذلك الرأس والصدر والبطن مستقر جميعها على الرجلين ، وكما أن من هذه الاركان الاربعة تنحل البخارات ، وتتكون الرياح والسحاب ،

والحيوان والنبات والمعادن كذلك بهذه الاربعة تحلل البخارات من بدن الانسان ، وهكذا صح بالبرهان أن بنية الانسان مشابهة لخلقة العالم الكبير وانه عالم صغير .

فصل

في معرفة الامانة المعروضة على السموات والارض :

ذكرنا في المبحث الرابع أن الجواهر الأبداعية ، الناطقة ، القدسية ، وردت من الكلمة العلية الى مقر الاجسام الظلمانية ، فحال بينها وبين مقر الوحدانية ، كثرة الحجب التي تراكمت عليها ، فاظلمت وصدأ جوهرها ونورها ، فجهلت ذاتها ، ونسيت مقرها الذي أتت منه ، لذا انتبهت من غفلتها ، فقصدت إمام عصرها الذي اتحدت به مواد الكلمة الآلهية ، وهي كمال الصورة الدينية ، فحاز على أنوار الفضائل ، وصار انساناً تاماً كاملاً ، فقال له ربه « إني جاعلك للناس إماماً » فظهرت به أشعة الأمر من اللاهوت ، وهي الأمانة الوجودية والدينية المعروضة على السموات والأرض ، والجبال ، فلم يستطع أحد منهم حملها لنقص صورته الوجودية والدينية .

ونعود لنقول في هذا المبحث الخاص ، أنه لما كان هذا الانسان الفاضل حائز على الكمال ، ومستوفي من صورة الخلق والدين التام

والـكمال ، حمل ماعجزت عنه كافة الموجودات ، وهكذا حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ، لانه حمل الأمانة التي قال الله تعالى عنها « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولا » .

ومعنى قوله تعالى ظلوماً ، يعني بذلك أنه في ابتداء وجوده كان ناقصاً صفراً من اشراق الانوار العلية ، فاظلم عليه وجودي الخلق والدين ، وقوله جهولا خلوه من المعلومات قبل اتصال لمعات التأييدات به ،مثله قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا » الجواب في ذلك ان سماء الخلق وارضه ، وجباله ، ومعدنه ، ونباته وحيوانه ، هم أجزاء الانسان ، وهو كلها . فلذلك عجزت واشفقت عن حمل الامانة . يعني الأمانة التي أشرنا اليها من علم العدد في هذا المعنى ، فاذا قلت اثنين اقترن الفرد الأول بالفرد الثاني واشتر به ، واذا قلت ثلاثة ظهر الاول ، واذا قلت أربعة استتر الفرد المذكور ، واذا قلت خمسة ظهر ، واذا قلت ستة استتر الفرد ، واذا قلت سبعة ظهر ، واذا قلت ثمانية استتر واذا قلت تسعة ظهر ، واذا قلت عشرة كانت عشرة في رتبة الواحد من العشرات ، وأما المآت فيظهر الواحد في الافراد ويستتر في الأزواج ، وكذلك الى الألف فيكون في منزلة الواحد ، أما الألف فيظهر الواحد تارة في مرتبة الفردية ،

ويستتر في مرتبة الزوجية ، وكذلك الامام يظهر بجوهريته الفردية في دور الكشف ويستتر في مرتبته الزوجية التي هي مرتبة الرسل في دور الستر .

ولما كانت الاعداد أصلها من الواحد ، وهي تعود اليه عند انحلالها من تركب الاعداد ، وكذلك الرسل أصلهم من الامام القائم بدور الكشف عند الابتداء ، ومنتهاهم اليه في دور الستر عند الانتهاء .

ونهاية القول في ذلك أن الامام على الحقيقة هو للأمر وحجابه الظاهر به في هذا العالم الشخص الفاضل البشري ، وبمواده أرسلت الرسل ونصبت القبل ، وترتبت الشرائع ، وهو أمر الرب المظيم ، وجوده العميم ، الجوهر المصون ، والسر المكنون ، ينبوع المبدعات ، وعلة المخترعات ، إمام العالمين العارفين ، ونور الطائفين الذي به حياة الكل ، وبه ترتب عالم الخلق والدين ، وقد حل من أجل خلاصنا في الوجود السفلي ، وتأنس لنا بواحد منا ، وقد تأنست نفسه لنفسه فهو موجود غير مفقود ، لايدركه الزمان ، ولا يدخل تحت حوادث الايام ، وهو السر الآلهي والفيض الغير متناهي قدسي . جوهري ، نوره سارحاً في الملكوت الاول ، موجود قبل أن تقوم الاسماء جنية والأرض مدحية ، والجبال مرسية ، والبحار جارية ، وقد أبدع به الحدود الروحانية . واخترع الهياكل الجرمانية ، وخلق الاشخاص الانسانية فاتحدت النفس البشرية وظهرت الصورة الألفية ، بلا فكر ولا رؤية ، واصبحت مراكز العبادة مسقطاً للرحمة . قديمة أزلية ؛

ونفسه أبداً خالدة سرمدية ، والامامة نفس هذا الشخص الفاضل البشري وقيامه بالدلالة للمدة المقدرة له من أجله ، فاذا انتهت مدته ، وحانت وقت نقلته انتقل هذا الامر الى شخص آخر من ذريته الذي عليه ، ويشيراليه ان تهيأ له ذلك والا كانت علامة المستقل اليه الامر إخباره بالكائنات ، ونطقة بالمغيبات ، فاذا سئل لايبطيء ، واذا نطق لايخطيء ، فأعرفه ياأخي وتأمله غاية التأمل تجده لانه مطلوبك ، وغاية مرغوبك ، وسبب نجاتك ولا تشرك به تهلك .

ان اسرار الربوبية هي لمعات اشراق أشعة الامر من نفس حجابه الجنسي ، والشخص الفاضل البشري الحامل لها ، هو الانسان الذي حملها ، فان قال قائل واعترض معترض ، فقال إن السموات في لسان التأويل وهم النطقاء ، والارض هم الاسس ، والجبال هم الحجج ، فاذا كانت النطقاء والاسس والحجج أشفقن عن حمل الامانة ، فمن هو الانسان الذي حملها ؟

فقل له أن النطقاء والاسس والحجج في عالم الدين هم جزء القائم سلام الله على ذكره العظيم ، وهو الكل لها ، لذلك حمل الامانة باسرها ، فحمل الكل للكل ، وتصرف في الكل أجمعين ، عالم الخلق والدين .

المبحث السابع

في معرفة الميثاق المأخوذ على حفظة الاسرار :

شرح الميثاق يقصد به تأكيد الايمان المغلظة على من وقعت في يده هذه المباحث، أن يصونها كل الصيانة ، فانها امانة في عنقه ، ويجتهد في المحافظة على أسرارها الغريبة ، ولمعها الدينية العجيبة ، التي تضمنتها مباحث هذا الكتاب ، ويكون بها ضنيناً ، وعليها غيوراً ، وأميناً ، فلا يبديها إلا لمن يستحقها من اخوانه المؤمنين ، وهذا عهد الله المغلظ المشدد عليه وعلى من تقع في يده هذه المباحث لأنها من مكنون العلم ، ومخزون الحكم ، ويكنزها في صدره لمعاده ، لأن فيها رشده ، وسعده ، والوفاء لها صونها ، وحفظها .

فقد اوصى بذلك الامام وحذر من اذاعتها ، فقال « من اذاع لنا سراً ثم واصلنا بجبال من ذهب لم يزدد منا الا بعداً » وقال عليه السلام « الذائع لسرنا كالجاهل له » وقال « من أذاع لنا سراً أذاقه الله برد الحديد » وقال « لا كما يعلم يقال، ولا كما يقال آن وقته ، ولا كما آن وقته، حضر أهله ، ولا كمن حضرت أهله أمنت عائلته » وقال امير المؤمنين

علي عليه السلام « من صمت نجا ، ومن نطق بغير صواب اخطأ ، كفا وغض من نفسه لو عقل » وقال عليه السلام « ألا وأن عثرة الرجل سريع اندمالها ، وعثرة اللسان فظيع وبالها » وقال عليه السلام « صدر العاقل صندوق سره ، ولسانه وقلبه ، وقلب الاحمق وراء لسانه »

وقال عليه السلام يوصي ولده « عليك يابني بالصمت ، وقد أمنت بالصدق إذا حدثت ، وبأداء الامانة الى اهلها ، وقال البهلول للحلاج وهو مصلوب ، « ياحلاج ! علمت وعلمنا ، وبحت وكتمنا ، فصلبت وسلمنا ، فعهد الله اللازم ، وبيعته المؤكدة ، ومواثيقه المغلظة المشددة ، مفروضة على كل من وقعت بيده هذه المباحث ، ذكراً كان أو انثى ، حراً أو عبداً ، من المؤمنين أن يصونها غير أهلها ، وعلى ذلك أخذت بيعتي فخذ يابني ماأكدته من عهدي ، ونقلته مني على الوفاء بما أشرطته فيه من والكتمان لسر الله الواحد المنان ، وانت في صحة عقلك وان كشفت انت ومن وقعت في يده هذه الاسرار ، بعد ماسمعته من تشديد العهد والميثاق تكون بريء من الله خالق الارض والسموات ، وتكون عدلت عن عبادة الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، الى عبادة الاوثان ، ومنعك الله من رحمته يوم تحتاج اليها فلم تجدها فتصبح في خذلان ، ويكون مصيرك الى نار جهنم التي ليس فيها لله رحمة ، ولا يكون منها مخرجا لاحد بعد ذلك الا بالوفاء بهذا العهد . والان شرحت لك الوصية والله الشاهد عليك وكفى بالله شهيداً.

تم الكتاب ، كتاب البيان بعون الله وحسن توفيقه ، وعونه آمين
وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين والسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين .

وهو بخط الفقير المقر بالذنب والتقصير الطالب
من مولاه العزيز القدير محمد ابن
المرحوم حسن الشاهين ابن المرحوم
المير محمد غفر الله له ولوالد والديه
ولوالد من سمع وقرأ وفهم المعاني الشريفة
من جميع اخواننا المؤمنين
تم الفراغ منه في ٢١ جمادي الاول
سنة ١٢٨٢ من هجرة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام
آمـــين